

الأعمال
الشعرية
الكاملة

حلمي سالم



الجزء الثاني



الأعمال الشعرية الكاملة حلمى سالم

(الجزء الثانى)

وزارة الثقافة



التوزيع

ملامحة الأعمال الكاملة

تصنيفها
الهيئة العامة لقصور الثقافة

رئيس مجلس الإدارة
سعد عبد الرحمن
أمين عام النشر
محمد أبوالمجد
مدير عام النشر
إبتهال الحسنى
الإشراف الفني
د. خالد سرور

• الأعمال الشعرية الكاملة
• حلمى سالم (ج ٢)
• حلمى سالم
القاهرة 2014م
• تصميم الغلاف:

أحمد اللياد
• لراجعة اللغوية: عادل سميج
• رقم الإيداع: ٢٠١٤ / ٢٢٥٤
• الترقيم الدولي: 978-977-718-615-5
• الراسلات:

باسم / مدير التحرير
على العنوان التالي: ١6 شارع أمين
سالى - قصر العيني
القاهرة - رقم بريدى ١١56١
ت: 27947891 (داخلى: ١80)

• الطباعة والتثقيب:

شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: 23904096

• هيئة التحرير •

رئيس التحرير
أحمد عنتر مصطفى
مدير التحرير
فاروق الحبالى
سكرتير التحرير
عمرو حمدى

الأراء الواردة فى هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة
بل تعبر عن رأى وتوجه المؤلف فى المقام الأول.

• حقوق النشر والمطبعة محفوظة للهيئة العامة لقصور الثقافة.
• يحظر إعادة النشر أو النسخ أو الاقتباس بأية صورة إلا بإذن
كتابى من الهيئة العامة لقصور الثقافة. أو بالإشارة إلى المصدر.

الأعمال الشعرية الكاملة

حلمى سالم

ديوان

البائية والحائي

(١٩٨٨)

السيدة الموهومة

سوف أَسْمِي الجُرْحَ مُعَادِلَةً
هذي السيدةُ الصُّفْرَى مُقْبِلَةً فِي خَطَوِرَفَافٍ
صَوَّبَ المَحْنَةَ وَالْمَشْرَطِ
تشكولفؤادي وحدتها الممدودة من أنملها
حتى النافذة المكسورة فوق الكتفين.
التفتت خلف الأدرج المقفولة،
ضَمَّتْ فوق الصدرِ يَمَامَتَهَا المخطوطة،
وَتَأَمَّلَتْ العمرَ المتسرب في سَفَرٍ، قالت:
أَتَشْهَى أَنْ أَقْتَى فِي كَفِّكَ كَقُبْرَةٍ.
قامت بين البدنين الأقصوصة
كان جنينٌ يخدشها فرمته إلى الجندول،
وهمست: كانت نُطْفِي تشبه بِسَمْتِكَ بأوهامي.

أولتُ لنفسِي نبضي،
فوددتُ لو أني في نهدِها استخفيتُ وصحتُ؛
أريدك لي.

لكن الصحفيين الثوريين استرقوا السمع،
فلذتُ بتحليل البنية والإيقاع النحوي،
ورُحْتُ أَسْمِي الجَرَحَ معادلةً:

ليس على الشجرِ محفّاتٌ للروح،
ولا فوق حقول القمحِ حماماتٌ نازفة،
لكن القاربَ بينهما صعبٌ
وطويلٌ سلّمهُ المسنودُ على مَرَّوْحَةِ القَتْلِ.

هل أكملتِ روايتك الأولى؟
وهل ابتدأتِ حتى تكتمل،
أنا شَخْصٌ لي وهمي فيكَ ضلوعك وضلوعي منطبقين
كمثل زُمُرْدَةٍ بزُمردة.

قُلْتُ: ولكني سأُتمُّ على عَيْنِكَ الزائغتينِ
 قصيدةً طللٌ يتغنَّى مطلقها الراجزُ
 بالرغبةِ في أن ألتقاكِ من المهوى في غسقِ
 عاريةٍ بين يدي
 وهذا الجرحُ مُعَادِلَةٌ،
 لكن السيدةَ الصُّغرى تكتبُ أقصوصَها الذاتية،
 تدفنُ ثدييها في صدر الذكر الميتِ،
 وتقول وراءَ الجثمانِ لعيني:
 أنا أنتظركِ كبنفسجةٍ تنتظرُ بنفسجةً،
 وأُمني لحظاتِ التتوُّيرِ بأحرفكِ على بدني المستوحشِ.
 تتَّصعُ في الصمتِ مصائرُ غامضةً
 متعاكسةً الطُرُقَاتِ،
 وهذي السيدةُ الموهومةُ تغدو في المستشفى الخيري
 معادلةً لمعادلة:
 لأناملِ قدميها بهجةً أبريل،

وفي وحدتها المختارة نمطٌ من كَوْنٍ
يوشك أن ينحلَّ إلى رَمَزَيْنِ:
فرمزٌ من ظمأ الله،
ورمزٌ من لغة الموجوعين.

تلصصتُ على ساقِها تنتقلان على الصفحات البيضاء،
السيدة الصغرى تكتب في خاتمة الأقصوصة:
جمراتٌ تحت الجلباب الواسع،
والعالمُ ندْفٌ من تلج أبيض محلول.
كيف يواجه قلبُ المأزومِ الفعلِ
معادلةَ امرأةٍ
مُقبلةٍ في خطو رَقَافٍ صوبَ المحنةِ والمشرطِ،

تشكولفؤادي وحدتها الممدودة من أنملها
حتى النافذة المكسورة فوق الكتفين؟

استلّت من قبو الأدرج بمامتها المغضوبة،
وانحرفت عن منظوري مترّين سحيقين،
وظلّت تتراوح في الشرفة أزمنة،
تركت أقصوصتها فوق الشعر المبيض بيطني،
ومضت نحو المشرط.

١٨ مايو ١٩٨٧

يَخْرُطُ أَمَكْنَهُ

فَرَحٌ يَبْفُ قَلْبَيْنِ
 وَيَدَهُمْ مَائِدَةٌ تَحْمِلُ قَدْحَيْنِ مِنَ اللَّيْمُونِ
 وَمَطْلَعُ نَصٍّ ذَاتِي
 وَيَقَايَا مِنْ رِثَّةِ.
 السَّيِّدَةِ الصَّغْرَى مُسْتَرْقَّةٌ فِي تَذْكَارٍ مِنْ أَوْرَامِ،
 وَأَطْرَافُ الرَّجْلِ مُعَلَّقَةٌ فِي خُطَافِ اللَّحْظَاتِ،
 وَنَصْلٌ يَتَأَرَّجُ فِي كُؤَاتٍ مُعْتِمَةٍ.
 هَذَا الْفَرَحُ مَرِيبٌ هَجَامٌ،
 مَا شَاغَلَ بِالْوَعْدِ الْأَقْتَدَةِ،
 وَلَا أَرْسَلَ قَبْلَ الطَّعْنَةِ نَخْلَاتِ تَخْتَبِرُ الْأَضْلَاعَ،
 وَتَوْمِي لِلشَّجَرِ بِقِمَصَانٍ زَانَتْهَا الْخَاطِرَةُ،
 فَتُوحِي لِلْمَنْذُورِ بَوَرْدَاتٍ مَشْبُوكَاتٍ بِقَلَائِدَ مِنْ وَهْرَانِ،
 سَتَرَفَهَا أَسْطَحُ فَتَيَانٍ مُعْتَلَيْنِ بِوَجْعِ فَرْحَانِ.

مُرِيبٌ هَجَامٌ،
لم يَقْعْ كَجِرٍو يَنْبِشْ خَلْفَ النَافِذَةِ صِبَاحاً،
يَنْتَظِرُ ثَقُوبَ البَهْجَةِ كَي يَنْفِذَ لِلْمُهْجَةِ كَاللَّصِّ،
ولم يَتَدْرَجْ كَالثُّورَاتِ،
فَجَائِيًا خَرَقَ الْكَبِدَيْنِ عَلَى مَائِدَةٍ.
يَنْعَتُ حَالَتَهُ فَيَقُولُ: أَنَا أَخْرُطُ أَمَكَنَةً،
وَأَرْوِّجُ لَشَطَائِرِ قَلَقَلَةِ الْمَأْلُوفِ الْوِجْدَانِيَّ،
وَأَمْضِي فِي عَكْسِ الصَّعْفِ الْحَزْبِيَّةِ نَحْوِ الْجَرَفِ الْقَلْقَانِ،
أَنَا صَانِعُ أَسْئَلَةٍ.
سَيِّدَةٌ فِي نَافِذَةٍ تَسْتَوْجِدُ فِي ذِكْرِي
الْمَشْرُوحَيْنِ،
تَضَاهِي الْجَسَدَ الْعَرِيَانَ بِشَمْسِ الصَّحَوَاتِ،
وَتَذْهَبُ فِي نَشْوَةٍ سَنَبَلَةٍ:
تَدْعُكَ عَرَقُ الْجَسَدِ الْمُتَنَزِّي بِالْكَفَيْنِ،
تُوزَعُ مِنْهُ الشَّمْسُ الْحَرَّى فِي مَنْحِ الْبَدَنِ الْحَرَّانِ.
فَهَلْ عَرَقَ أَمْ خَيْطٌ مِنْ رِيْقِي يَتَهَدَّجُ

فوق الراوي والمروي؟
 السيدة الطقسية أغمضت العينين
 وأسلمت النفس لحالتها أحقايًا خاطفة.
 جدلٌ بين سقاياتٍ في خلجانٍ يقطى.
 ارتجف البابُ،
 فنَهَضَتْ في نَقَلاتٍ مُشْبَعَةٍ
 نحو الحَمَامِ التُّرْكِيِّ.
 فجائِي
 هَجَامٌ ومريبٌ يندُقُ كساريةٍ في مائدةٍ
 من وهرانٍ إلى أعضائي،
 ويُبَلِّغُ جَمَهَرَةً:
 لزيارتها معنى الأبدية،
 ولشيتها نحو الحافلة فتاراتٍ لبكور
 الصيادين،
 لتفاحتها قنديلُ الطبقاتِ،
 وفي ثنياتٍ ملأها اسمٌ من أسمائي.

فَرَحٌ عَادِيٌّ

يَخْلُو لَطِبَائِعَهُ كِي يَقْنِصَ بَدَنَ الْعَادِيَيْنِ،

كَمَثَلِ الْقَوْسِ الْعَادِيِّ؛

يُسَمِّرُ بِاللَّمْسَةِ وَعَلَاً عَادِيًّا،

يَتَخَضَّبُ بِبَحِيرَتِهِ الْعَادِيَةِ فِي رَكْضِ عَادِيٍّ.

فَرَحٌ عَادِيٌّ

لَكِنَّ دَمَ الْوَعْلِ اسْتَتَائِيَّ،

فَبَأَيِّ مَفَارَاتِ الرُّوحِ يُخَبِّئُ فَرِحَانِ اللَّوْلُوَّةِ عَنِ السَّابِلَةِ

وَعَنِ خُطْمِ الْعَيَّارَيْنِ؟

تَخَلَّتْ عَنْ حَارِسِهَا فِي نَصَيْنِ جَدِيدَيْنِ،

خَطَّتْ فَوْقَ الْأُنَى وَأَذَاعَتْ لِي:

يُعْجِبُنِي جَسْدِي

وَأَنَا سَأَصُونُ صَفَاءَ نَعِيمِي

لَصَفَاءِ جَحِيمِكَ يَوْمَ الْجَيْشَانِ.

أنا النورسُ علّمني
 أن العطشانة للعطشان.
 فصن صائتة.
 قلت: فكيف نُسَمِّي هذا الطيرَ الحائمَ بين الظمأين؟
 أجابت: أولم تكتبَ ذاتَ أنين:
 «كيف تسمِّي هذا الشيءَ الأبيضَ
 بين العازفِ والمعزوفة؟»
 قلت: بلى، وحفرتُ على صدري:
 «لا تقترحِ الليلةَ رُتباً
 للوقتِ المملوءِ بهذا الشيءِ الأبيضِ
 بين الحلمةِ وأناملها الموصوفة».
 قالت: فالآيةُ أن لا وصفَ يحيطُ بما يَنْتَزَهُ عن
 أوصافِ الوصافين،
 ولا سمةٍ تلخصُ فرحاً باغتَ مائدةً
 تحملُ قدحينِ من الليمونِ ومطلعَ نصٍّ ذاتي،

فهو مُريبٌ كالمدنِ البحريّةِ
 وهو حضاراتٌ كامنةٌ ترسلها الأعضاءُ المضمومةُ.
 تتكئُ على مرفقها السيدةُ الموهومةُ،
 وتُعينُ مشواراً للماشينِ إلى دَحْضِ الشكلِ،
 ومَشْكَاةً للساعينِ إلى جوهرةِ،
 وهو بمكمنه ينعُتُ حالتهُ فيقولُ:
 فضاءُ الصّاعِغَةِ لي،
 وأنا الواهبُ أخيلةُ،
 والمجنونُ بوضعي.
 نكسرُ أقنعةً،
 ينخلُغُ على تيهِ براءتنا الوجهَ الصديّ
 وينخلُغُ الإرثُ،
 فأفصِحُ: أهوى أنْ آخذَكَ على رَنديّ وأهوي للقيعانِ:
 السيدةُ الصغرى تهمسُ في خَلَلِ:
 خلَصَ رُوحِي من رُوحِي،

واتبعني من أوراس إلى سقارة،
نكسر أقتعة
ونسوق الكون المتلكي بغصاً.
هذا يوم من آدم،
طاغوت من فرج في خطاف اللحظات،
فليس على الرجل الفرحان
وليس على السيدة الفرحانة
إلا أن ينتخبا عريهما بين حدود البلدان،
لعلهما يكتشفان النبع،
ويحترقان،
بريبة فرج هجام.

الشخصانِ الفَرَحَانِ

فَشْرَةُ بَرَكَانٍ خُدْشَتْ
فَانْدَلَقَ الْكَوْنُ الْمَصْهُورُ أَمَامَ غَرِيبَيْنِ.
ارْتَجَلَ غَرِيبٌ: سَنَكُونُ جَمِيلَيْنِ،
وَنَصْنَعُ فَانُوساً مَمْسُوساً بوساومِ
لُغَةِ الْمُخْطُوفَيْنِ إِلَى التَّرَفِ الْحَرِّ بَقْلَيْنِ
انْعَتَقَا مِنْ نَوَارِنِيَاتِهِمَا لِيَصِيرَا بَشَرَيْنِ.
وَهَمَسَ غَرِيبٌ:

لِحَفِيفِ الشَّجَرِ حَسَاسِيَّةٍ صَاحِيَّةٍ
تَتَغَلُّ فِي قَاعِ الرُّوحِ وَتُخَبِّرُ عَنْ فَتَقٍ فِي الدُّنْيَا،
وَتُسَمِّي هَاجِسَهَا فَارَحَ الْمَلْمُوسَيْنِ.
تَدَلَّتْ مَائِدَةً،

قَابِلْنِي الرَّجُلُ الرَّمْزِيُّ الْمُتَخَفِّي فِي مُنْكَاتِي الشُّعْرِيَّةِ،
يَجْرِي نَحْوِي مِنْ فَجِّ دِهَالِيزِي وَكَمَائِنِ شَيْنِ عَيْنِ رَاءِ.

قال: زمانك أقصر من فاتحة،
 ومكانك أصغر من مَشْي أناملِك على خَدَي سَيِّدة
 سَأَلتَكَ على كُرْسِي بَحْرِي:
 كيف نقيس الهوة بين قصائِدِك ورثتي؟
 الرجل يلاعب تحت بَكِيَّتِهِ المَتمَّة قِبائِلَ غُفْلًا:
 وَيُجَهِّزُ للمصهورِ نساءً مصهورات،
 وَيَحْمَمُ سَيِّدَتِي الموهومة لملاقاة المحنة واللاهوت،
 يُطِلُّ على مِجْرَقَتِي ويقول:
 اظهر ليديها أعلى من عائلة النثر،
 وَخُصَّ ملامحها بشجيرات المنزل،
 واشدد لها أَبْعَدَ من أقطارِ العُريَانِ،
 وكن لسبائكها موقعةً.
 عابرةً من رُوحِ التَّعْنَاعِ انخطفَتْ في أسئلة:
 من أية نافذة
 سوف نواجه ضَغْنَ الفاكهة الزائفة ونخرج لليوميين؟

وكيف سنحفظ من تبويب الثوار المحترفين
فؤادَيْنِ انعتقا من نورانياتهما ليصيرا بشريَيْنِ؟
أجبتُ: النافذةُ بساطةٌ كمثري،
والحافضةُ خَفَافِيَةٌ المحفوظِ بصدرَيْنِ،
تَمِيمَتُنَا قولُ الرجلِ الرمزي:
يا نسيمَ الروحِ قلولي للرّشَا
لم يُزِدْنِي الوَرْدُ إِلَّا عَطَشَا
لي حبيبٌ حُبُّهُ وَسَطُ الحَشَا
إن يَشَأْ يمشي على خَدَي مَشَى
روحُه روحِي وروحِي روحُه
إن يَشَأْ شئتُ وإن شئتُ يَشَأْ

يلطمني الرجلُ الرمزيُّ مداراةً للإنثى،
ويلاعبُ تحت تكيته المبعثة الموهوبين وأرباب الصنعة،
يمتحن السيدة الصغرى: كيف تنامُ بنفسجة؟
فتجيبُ: مُرَقَّرَةً.

فَيَقْبَلُهَا بَيْنَ الْعَيْنَيْنِ وَيَلْطَمُهَا بِالسَّعْفِ

مَدَارَةً لِي،

وَيَنَادِينِي: انْتَبِهِ الْوَهْلَةَ يَا فَرْحَانُ،

فَدُرْتُ عَلَى رَسْغِي،

لَمَحْتُ السَّيِّدَةَ الْمَوْهُومَةَ تُشَدُّ فِي جَبَلٍ:

خَذَنِي لِلتَّأْوِيلِ،

وَعَلَّمَنِي كَيْفَ تَكُونُ الْفَرْحَانَةُ جَمْرًا فِي زَنْدَيْنِ،

وَعَلَّقَتْنِي فِي أَسْبَاطِ التَّقْصِيلَةِ مِيزَانًا لِلْمَهْزُوزِينَ،

وَمُنْشَأَةً.

مُدَّتْ مَائِدَةً،

يَا سَيِّدَةً مِنْ رُوحِ التَّنْعَانِ اعْتَدَلِي فِي سَنَوَاتِي.

هَذِي سِتٌّ وَثَلَاثُونَ مَبَايِعَةً خَاسِرَةً،

فَارْتَجَلِي لِلسَّرِيَانِ سَبِيلًا أَبْقَى مِنْ سُبُلِ الْحَرْفِيِّينَ

وَأُنْدَى مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ،

وَحُطِّي الْهَيْمَنَةُ عَلَيَّ:

أَنَا الْمُرُوبَةُ فِي مَقْطَعِكَ الشَّخْصِيِّ.

فما تتدريين؟

أجيزُكَ في صُبحِ أَفتَحُ بابَكَ بيلادي.

فمَتى تُقَلِّعِ أَشْرَعَةً؟

ليلةٌ ترمي للغامضِ مَفْتَاحَ بلاغَتِهِ الغامضةِ،

وتمنحُ للبشريَّينَ الحليَّةَ والصُّلحَ.

لماذا خُذْشَتْ قَشْرَةُ بركانِ الفَرَحَيْنِ؟

لأنَّ الأبيضَ قامَ.

فما سَعَةُ الأبييضِ؟

يمشي تحت بيارقه الشعرُ،

وشهوةُ رأبِ الصدعِ،

وعُزِّي القطعةِ،

ورواياتُ الأدباءِ المغمورينَ،

أصابعُ فوقِ الحَلَماتِ،

وهَبَّاتُ السَّقَالِينِ،

مكاشفة الجرح لجرح،
جسدٌ مختزلٌ في جسدَيْنِ.

حفيّفُ الشجرِ حساسيةٌ صاحبة،
والرجلُ الرمزيُّ أطاحَ بثوبي في ماءٍ قلبي،
أوقدَ قنديلاً قادَ خطايَ إلى الدّغلِ فسرتُ بلا ساقينِ،
التفتُ إليّ وصاح: افرحْ إني لا أُحِبُّ إلا الفرّحانَ.
أخذتُ السيدةَ الفرحانةَ عاريةً إلا من كفيّ،
وهرولتُ كملتيسٍ بين طوائفِ أصحابِ الحِرْفَةِ والنّوّالينِ،
وكان الطّوّافونَ الصُّغراءُ يقومون من الإغفاءِ،
يلقّون على الرأسِ نشيدَ الفرّحينِ،
وفانوساً ممسوساً بوساوسٍ لفةٍ المخطوفينِ
إلى النّزفِ الحرِّ بقلبيّينِ انعتقا من نورانياتهما
ليصيرا بشريينِ.
فرُفعتْ مائدةٌ،
الرجلُ استخلص خاتمتي من أوصالي،

فأطال على عُنْقِي قَبِضَتَهُ الْوَانِيَةَ
وَزَعَقَ: تَشَبَّثَ فِي «مَوْقِفِ بَحْرِ»،
فَتَلَوْتُ عَلَى سَيِّدَةٍ مِنْ رُوحِ النِّعْنَعِ الْفَنَصِ الذَّاتِي:
«أَوْقَفْنِي فِي بَحْرِ وَلَمْ يُسَمِّهِ،
وَقَالَ لِي: لَا أَسْمِيهِ لِأَنَّكَ لِي، لَا لَهُ،
وَإِذَا عَرَفْتُكَ سِوَايَ فَأَنْتَ أَجْهَلُ الْجَاهِلِينَ،
وَالْكُونُ كُلُّهُ سِوَايَ،
فَمَا دَعَا إِلَيَّ لَا إِلَيْهِ فَهُوَ مِنِّي،
فَإِنْ أَحْبَبْتَهُ عَذَّبْتُكَ وَلَمْ أَقْبَلْ مَا تَجِيءُ بِهِ
وَلَيْسَ لِي مِنْكَ بَدٌّ.
وَحَاجَتِي كُلُّهَا عِنْدَكَ،
فَاطْلُبْ مِنِّي الْخَبَرَ وَالْقَمِيصَ فَإِنِّي أَفْرَحُ،
وَجَالِسَنِي أَسْرَرُكَ، وَلَا يَسْرُكُ غَيْرِي،
وَإِذَا جِئْتَنِي بِهَذَا كُلِّهِ وَقُلْتُ لَكَ إِنَّهُ صَحِيحٌ،
فَلَا أَنَا مِنْكَ، وَلَا أَنْتَ مِنِّي».

يونيو ١٩٨٧

الموسى بِسَيِّدَةٍ

لَوْتُتُ الْأَبْيَضَ بِدَمِ الْقَلْبِ،
أَنحَرَفَ سِرَاطَ بِيٍّ وَأَنَا فِي غَاشِيَةِ الْفَرَجِ أَهْرُولُ،
فَتَرْنَحْتُ وَخُنْتُ الدِّيْبَاجَةَ وَمَوَاقِي،
كَانَتْ عَيْنَاهَا أَحْزَنَ مِنْ خَبَرِهَا بِالْعُلَمَاءِ،
وَحَضَرْتُهَا أَثْقَلَ مِنْ حُسْبَانِي،
فَتَقَصَّدُ فِي الْمَائِدَةِ الشَّرِيانُ الْمُسْتَقِظُ.
قَصْرُ النِّيلِ اسْتَوْحَشَ،
بَعْضُ الْمَارَةِ عَبَرُوا فِي الْمَقْتَرَقَاتِ ثَنَائِيَيْنَ،
الْفَنْدُقُ خُلُوٌّ مِنْ نَزْلَاءِ حَزِيرَانَ،
وِظَلُّ فَتَايَ الْعُرْيَانِ انْزَلَقَ إِلَى السَّنَوَاتِ الْمَخْطُوفَةِ،
يُحْصِي الثُّورَاتِ الْمَغْدُورَاتِ:
فَرِيداً،
فَرْدَانِيّاً،
مَنْفَرِداً.

يُدُّ طفلُ تمتدُّ لتكسرَ أرجوحته الحلوة،
وفَتَايَ الْمُتَقَنِّعِ منكُمُشْ كبداياتِ اللوبانِ،
ومسنودٌ لهواءِ اللَّهِ،

ومفتَضَحٌ مثلَ حَقِيقَتَيْنِ،
ارتعشتْ سيدةٌ وعَكَتْ أن أخاها البحرُ،
وأن هوامسه اللامسة سبتها في ليلِ فرديّ،
فغفت دهرًا فوق جزائره الصخرية؛
واحدةً

متوحدةً،

وحدانيّتها سُبُلٌ للأفتدةِ وقَصْدٌ للمشائينِ.
تأملتِ الفاصلَ بينَ الفَرَقِ الوَحْدَانِيّ وبينَ العيشِ الوَحْدَانِيّ،
وراحت تصنعُ من نَزَفِ يديها مَزْولةً.

هل شَرَحْتَ كَهَيِّ قَارورةِ فرحٍ مضفوط؟
هذا صَبٌّ بَرَعَ على الحزنِ،
فما واءمت البهجاتُ البِغَاةُ حِرْفته المفقورة،

فارتدَّ إلى الطبعِ الشَّجوانِ كمثلِ القنفذِ:
قال: «أحبك» لحظةً كان الكونُ يفادر موقعه
منخلما كنبِّي.

ردتُ سيِّدةً تصحو من سهوٍ مثقلٍ:
بَحْرِي للغَرْقَى والمِلثاثينِ،
سريري للنيزكِ والبدنِ الأفريقيِّ،
عطايَايَ لِعَزَافٍ لَا نَزَافٍ.

هذا الدَّمُ خَطَاءٌ يسبقُ صاحبةَ الهاويةِ،
انتهتْ سيِّدةً للبقعاتِ، فسألتُ:
هل أبتاعُ قرنفلَةً تشبكها في عُروَةٍ سنواتٍ ذاهيةٍ؟
ميدانُ سليمانَ عَدُوٌّ
لكن منَاخَ الغرفةِ مَسَّ منَاخَ تنفسيها الوقتيِّ،
وكان النَزَافُ يتمتمُ في صومعةٍ:

حول خُطاها المأوى والإلهام،
وفي خنصرها المنحول ثلاث وثلاثون مُعذبة.

ينحرفُ سراطُ بي،
خيطةٌ مُسَوِّدٌ يسري في الأبيض منقوماً،
يزحف من عطبرة إلى الريدانية؛
ألمس كالهجران،
ومُحتكاً بمشيمات.
كانت عيناها أصفر من حنكتها بقدامى الجدليين،
وحضرتها أنعم من معتقدات الكتبة،
وفتاي على حالته يشهد في دقتها فوق الباب
قيامات للمُنسيين،
ويرمقُ عند تلفتها ملكات النحل.
أراقت بين الساقين الماء وقالت:
خذ قطعاً من قمصاني،
واعبر للساحل فواحاً كالْبُدُق.

ميسوراً مثل القارة تنهض من نوم،
ومجازياً كالأنثى.

هل شرخت كفي قارورة فرج مضغوط؟
جرّف السيلُ السدَّ الرخو بنهر الروادِ
الحلالين المحلولين،

فقلتُ: الجيلُ الطالعُ منتبّه للطاعون،
فهل سنعيدُ البهجة للمبهوجين؟
انتصبتُ سيدةً لا تحصى الثوراتِ المغدوراتِ،
لتدفعَ طفلاً للفأس والسُّقيا:

احصدْ قمحي،

واصنعْ لي من فيضِ سنابله العُقدَ،

وأرغفة لبناءِ الحجراتِ،

وأخيلةً للبدايعِ.

ضُحى هذا اليوم ضُحى أصلي

فالسيدة هنا الآن بيتِ البياراتِ تراجعُ قصتها الراهنة،

ورُسِّفَها استندا فوقَ كتابي الشُّعريين،
 تداريتُ وراءَ النحو،
 ورَكِبْتُ لها الجُمْلَةَ عَقَوِيًّا:
 «الرجلُ الفرحانُ يحبُّ السيدةَ الموهومة»
 وطفقتُ ألوِّكُ الإعرابَ التفصيليَّ:
 الرجلُ: مبتدأ مرفوعٌ بالضمة، والضمة ظاهرة،
 فنقولُ: الرجلُ
 الفرحانُ: صفةٌ للمبتدأ، وتتبع وضعَ الموصوفِ، فترفعُ بالضمة،
 والضمة ظاهرة،
 فنقولُ: الفرحانُ،
 يحبُّ: فعلٌ مضارعٌ مرفوعٌ بالضمة ظاهرة
 ومُشَدَّدٌ، فنقولُ: يحبُّ،
 السيدةَ: مفعولٌ منصوبٌ بالفتحة، والفتحة ظاهرة،
 فنقولُ: السيدةَ.
 الموهومة: صفةٌ للسيدة، وتتبع وضعَ الموصوفِ،
 فنُصِّبُ بالفتحة ظاهرة، فنقولُ: الموهومة،

والكلمات «يحبُّ/ السيدة/ الموهومة»
واقعةً بمثابة خبر للمبتدأ «الرجلُ الفرحانُ»،
والجملةُ كاملةٌ ومُشكَّلةٌ:
«الرجلُ الفرحانُ يحبُّ السيدةَ الموهومة».

هل فضحَ النحْوُ القلبَ؟
هل التقطتْ سيدةٌ خدعاتِ العاشقِ أو توريةَ اللغوي؟
اللغويُّ الرامي جملتهُ لحظةً كانَ الكونُ يغادرُ موقعه؛
محقوقاً بدمِ خطاءٍ،
محمولاً بُثْرًا.

للمنزل أغصانٌ ممدوداتٌ فوقِ الناجينِ،
ولكنَّ فؤادي مُختطفٌ في رقصاتِ التحطيطِ،
فلا تعبثْ بالسَّمكِ النَّائِه في نَزْهي،
واهرِذْ شالكَ مُبيضاً يسترُ جسدي المغموشَ كأرنبة،
يا عازفُ أنصفتني من تَقْنِيَةِ النُّقَادِ الملتزمينَ،
وكن لي موجدَةً.

دمع الدامعة تدحرج في المركبة المكتظة،
لكني كنت تدحرجت إلى منحدري قبل اليوم السادس،
وتخطيت طباشير المتوحدة،
لتخفق أوبئة صغرى فوق رءوس السيارين،
وكان صدى روجي في القيعان يردد:
عابرة: سُكناها أجنحة البجع
وحكمتها السير الشعبية والشعراء الجوالون
وحرفتُها الموردة.
عابرة: مهواها المديّة بين الحاء وبين الباء
ومحياها البدان على شفة.

تمضي سيدة ملهمة كالوعل جنوباً،
أحكمت الشال على الخاصرة الضامرة،
أفلتها عند الميدان العربة: سوداء ببيضاء،
أصابها المعروقة بهجير حزيان تلوح
بوداعات واهنة،

وفتّى قال «أحبُّك» خاطفةً كالمنى،
وبين الوجهين هواءٌ يتدغدغٌ ويزولُ.

الليلةَ عيناها أقصى من سنبلةٍ في النحرِ،
وحضرتُها أخَفَفُ من مدلولِ الخَفَفَانِ،
وأصْفى من مُعْجِزَةٍ.

كان دَمٌ خَطَاءٌ يسبقني،
وأنا أتيقنُ أنني لوئْتُ الأبيضَ برداً ذِ دَمِ القلبِ،
وقصرُ النيلِ استوحشَ.

بعضُ المارةِ عبروا في المفترقاتِ ثنائيينَ،
فأنحدرُ على الطُّرقاتِ: صغيراً كالفرحةِ،
ووحيداً كالكاكاو المحروقِ،

أحدثُ في الخطوفَتَيِ المفضوحِ:
أنا الملموسُ بسيدةٍ.

خَمْسُ دَقَائِقَ

خمس دقائق من صمت مغموس في سكين،
 أغنية «الملموس بسيدة» حطت فوق الرأسين
 طيوراً فضاحات،
 فانكشفت أقتعةً محبوبكات وتعرّت عورات حكيمة
 قلت: سندلف يوماً للبحر،
 ونغرق في فكرته الآسرة وحيدين،
 فقالت: كل مغامرة غامرة بالهوس الظمان
 ستروني
 فاختر لي سكنى في قوقعة.

خمس دقائق من صمت مغموس في سكين،
 وضعت أفتدة بشفا جرف ندام وانحبست أجوية،
 هذي سيدة متماثلة مع لوثاتي والنايات،
 وهذا رجل يخلق لخطاه الضليلة بئراً.

قالت: سأواصلُ تصفية الكونِ على المعصمِ:

أبني أربعة حوائطَ برَميمي،
وأصنّفُ نفسي في المعتزلة،
وأسمّي بائي رائدة المزدوجين،
فجهّز ضلعين لرحلٍ
واجعل ساريةً بمحاذاة شئوني.

خمسُ دقائقَ متمهلة دائسة في عشب الأبدان،
الخالقُ بئراً يسألُ سيّدة ماثلة في حضرة موج يتأزّم:
كيف سيمضي تموزُ الواطئ بي؟

هذي المنضدة اتتست بأصابعها المغسولة،
وهي تشيلُ القدحين المتروكين لنصنع قهوتنا المرة،
قلت: القصُّ الأدبي موازينٌ مشعّرة ومقاصِلُ،
لكن عيونكِ مرحة،
وعلى الرأسين طيورٌ تتلصصُ.

صمْتُ قَوَالٍ،

وحماماتٌ حائِمةٌ تترنَّحُ بين الكَفَيْنِ على مائدةٍ،

وتماثيلُ الروحِ تُحرِّكُ أذرعةَ نابضةٍ

وتُجربُ خفقَ النطفاتِ.

سطور «المموسِ بسيدةٍ» ساخنةٌ قُربَ الصمَتَيْنِ،

وهاتانِ العينانِ الملهمتانِ مُضَيَّبَتانِ برائحةِ المحنةِ والمشرطِ،

ومُسَيَّرَتانِ بحادثةٍ.

سيدةٌ متوائمةٌ مع صدعِ الكونِ،

تجزُّ الوردَةَ بين عصافيرِ يديها العاطيَتَيْنِ

وأفقِ يديّ،

تنامُ على الشُّفْرَاتِ مغَيِّبةٌ وتقول:

أنا المشطورةُ بين كَمَانَيْنِ:

كَمَانِ الخَلَاقِينَ قرنفلةٌ من وَجَعٍ،

وكَمَانِ الخَفَاقِينَ إضائيينِ وسنواتي.

كان ثلاثاءُ الهاويةِ طويلاً،
 والشالُ على كتفِ الوامقِ ليلةَ عرسٍ
 وعلى بطنِ المختالةِ أزمنةُ،
 حَرَفْتُ المغزى وهمستُ:
 سأقرأُ لك شعراً وأضملكِ في صدري.
 تومئُ سيدةٌ بالبسمةِ أعلى من قنديلِ سهرانٍ،
 فيهتفُ ممسوسٌ:
 كائني كائنةٌ تحتَ زفيرِكِ كالشَّصِّ،
 وأنتِ موازيةٌ للأفعالِ الخمسةِ،
 ومُهَرَّبَةٌ.

خمسُ دقائقُ موميئةٌ بحقولِ دلالاتٍ،
 في إيماءِها أبنوسٌ يتجددُ في غسقِ المحتاجينَ،
 استرجعَ صَبُّ سنواتِ جنونِ الأورمانِ،
 وملاً فضاءَ الرَّبِّ بمجدِ السقطاتِ العليا،
 لكنْ خمسُ دقائقُ من صمتِ مغموسٍ في سَكِينِ
 كشفتْ عوراتِ حكيمةٍ.

هذي العابرةُ الصاحبةُ من الوحي:
طريقَتُها مَزَجَ الفِضَّةِ في الأسماءِ،
وأَيَّتُها القلبُ المنقسمُ،
وفي العينينِ الوطأةُ.

خمسُ دقائقٍ من صمتٍ ينفلُ،
قهرتْ أروقةً وحوانيتَ وأفتحةً ووقائعَ،
كسرتْ إرثَ العماليينَ،
فعرّتْ عوراتِ حكيمةٍ وتَجَمَّلَ سيدةٌ متماسكةٌ
فوق الجُرفِ.

هنا شريانٌ خَسِنٌ يخدشُ مرفقَها،
وفتي يَتَدَلَّى من سَقَّالَاتِ تهوي،
الشالُ انفرسَ ببركةِ دَمٍ سائلةٍ بجنوبِ البرّينِ،
قصائدُ تنزفُ بالعاصمةِ كمملوكٍ بزويلةِ،

حَاءُ حَائِرَةٌ فِي الْحَدَقَاتِ،
وَسَيِّدَةٌ مِنْ رُوحِ النِّعْنَاعِ تَغِيْبُ.

ثَلَاثَاءُ الْهَائِيَةِ تَدْبِبُ كَالنَّصْلِ،
وَلَكِنْ خَمْسُ دَقَائِقٍ مِنْ صَمْتٍ مَسْكُونٍ
بَعْدَ رِصَاصَةٍ نَصٍّ «الْمَلْمُوسِ بِسَيِّدَةٍ»
كَانَتْ عُمَرَاءُ حَقَّانِيًّا:
لِلْمَلْمُوسِ بِسَيِّدَةٍ
وَلِسَيِّدَةٍ
لَمْ تَكُ يَوْمًا عَابِرَةً.

تَمَّوزُ سَيِّمَرُقُ كَالسَّيْخِ الْمَتَوَهِّجِ فِي الرِّثَّةِ،
وَبِجْمَالِيُونٍ فِي مَنَاصِفِ الشَّهْرِ يَمُوتُ.

رجلٌ حاضرٍ وامرأةٌ مُحْتَضِرَةٌ

بدايتها مُعَذِّبَةً، وآخرُ ألقها جَمْرُ
رَمَتْ لي بعضَ نرجسَةٍ، فكان المَلْحُ والمُرُّ
هي الأوصافُ في صفةٍ، وأمرُ حنينها أمرُ
كَأن الروحَ في أقداحها قَطُرُ.

هنا امرأةٌ محنَّكةٌ تجيدُ الموتَ من إغماضةٍ
رَفَّتْ على سِرْبٍ من الطيرِ الضليلِ، على
يديها آيةٌ من مستحيلٍ يمتطي قَرْسًا،
مُدْرِيَّةٌ على النزفِ الطويلِ بآخرِ الليلِ،
انتفتتْ في صمتها الشقَّ المقدسَ من زجاجِ
الروحِ، قلتُ: أكونُ أقربَ من أصابعِ
النحلةِ لاستغاثتكِ، استقري، ثم كوني
أقربَ الوخزاتِ من عمرٍ أراذكِ نحلةً في
الضلعِ يرمقُها المحبونُ ابتهالاً بالمحبتينِ.

المسافة بين خاطرتي ومبتدأ الطريق
عريضة، لكن مصرعك المنعم في بواكير
الحريق خديعة مفضوحة للخلق، خبرتها
مُصنعة وراء دم القتل، فراح يجثو:

بشائر هذه القمصان نأر
وريشة عينها الظمأى مدار
فخل الروح يقطى أيها الوعل المنار -
وراء التل حلكات تُنار

ثلاثينية حطت على خطوي ملامحها وتاهت
في فجاج الأرض، تمضي في معابرها
على خوف وإقدام، لتدخل في الصبابة
بالصبأ، وتريق عناباً على مدن مؤججة
بخيمة قلبي المشدود للترحال. يا قيس بن
دمعي دُرّ على كمبيك دورتك الشريفة،

واخلع الأوتادَ عن هذا الخباءِ، وخذ صَبَائي
على صَبَاكَ وطِرْ إلى البلدِ المجاورِ،
وانتظر موتاً جميلاً مثلَ موتي، كن بأولِ
بلبلٍ يشدو:

تَهْ دَلالاً فَأَنْتَ أَهْلٌ لَذَاكَ
وَتَحَكَّمْ، فَالْحُسْنُ قَدْ أَعْطَاكَ
لَكَ فِي الْحَيِّ هَالِكٌ بِكَ حَيٌّ
فِي سَبِيلِ الْهَوَى اسْتَلْذَّ الْهَلَاكَ
عَبْدُ رِقٍّ، مَارَقَ يَوْمًا لَعَتَقِ
لَوْ تَخَلَّيْتَ عَنْهُ مَا خَلَاكَ
كُلُّ مَنْ فِي جِمْكَ يَهْوَاكَ لَكِنْ
أَنَا وَحْدِي بِكُلِّ مَنْ فِي جِمْكَ
يُحْشَرُ الْعَاشِقُونَ تَحْتَ لِيَوَائِي
وَجَمِيعُ الْمِلَاحِ تَحْتَ لِيَوَاكَ

فتى يعدو على سنواته ويقلب الأفق
 القريب: يرى أمام العمر أزمنة تموت على
 اليدين، فيحسب اللفات داراً وابتداراً
 للرجاءات الضئيلة وهي تحب في عروق
 اثنين. يعلم أن هذا الأفق مختوم بأقفال
 من الأسرى وعبيد الجنازات.
 التماعات خفيفات بهذا الشرق موهلة بدغل
 القلب، والقلب المشطرب بين جمر والغروب
 يلم حافظة لمأساة مصفرة بحجم غزاة
 ركضت على عشب من الأوجاع عشراً
 واثنين من السنين الخادعات دجى، وعند
 تفتح الصبح انجلي أمر انشقاق الروح من
 كمد تخفى في ابتسامات مزينة بأقراط
 مزينة ورّف من عقائد محكمات الصنع.
 تبدأ نخلة في القاع ولولة مهندمة على
 حلم تبدى لحظة وانزاع، عرى حصّة

بالقلب مغلقةً على الذكرى السحيقة. كيف
للتاريخ أن ينزو بروحي دون أن أنحلَّ
أرقاماً:

ثلاث إيماءات مباركة.
قصائدُ خمسٍ من رئة.
اثنا عشر انهيأراً.
ستٌ وثلاثون في ثلاث وثلاثين.
أربعة أجنة في خلاء معدني.
مائة عام من العزلة.

هي امرأةٌ وصقّر، في مخالبها تشيلُ
على الدجى أكبادَ عشاقٍ كثيرين، الأسمى
مشوارها اليومي، تهمس: خلفَ نرجستي
وباءاتٍ فلا تقرب وباءاتي. ثلاثينية: ذا
طيلسانٍ من مرارات، شحوبٍ يستضيءُ
بذاته فينيرُ جثته الجميلة. عازفٌ كسرَ

الربابة كي يسير على الشرايين. انسجام
بالتناظر والتذاذ بالشروخ. سنابل ارتحلت
تهاجر من حقول القمح للصفقات. من
سيخط في الطوفان موعظة، ويمحو راية
لفتى يقول على الليالي:

سأوهم نفسي أنني كنت أوهم نفسي،
وأن شعري دليل خائب على ذاتي،
وأن قصائدي الخمس اصطناع شاعر
مُدْرَب على خلق الشاعر والأكوان.
كيف يمكنني الخلاص من جنون الباء
والهاء والجيم،

ومن هذه السنايك المستبدة بي؟
هل من سبيل سوى أن أوهم نفسي أنني
كنت أوهم نفسي؟

رفيقي يخدش الذكرى. الأصابع مُشْرَعَاتُ
نحور جفة نيزك يهوي على ماء، يقول:

الجيمُ من جوعٍ وموجوعٍ وعمرٍ من هشيمٍ
 العمرِ مسجوعٍ. ويُطْرَقُ. يستفيقُ هنيهةً
 ويصيحُ: ماذا لو أبدلَ وجهك الساجي
 بساجدةٍ وماجدةٍ وهاجدةٍ. أقولُ: نسيتُ
 في الجيمِ الجنونَ وخفتَ قلبي. قال:
 هذي الفُلةُ البيضاءُ أشبهُ بالخليجِ. أقولُ:
 تشبه نبضتي ودماي. سيدةٌ محاصرةٌ
 بخيلٍ من خيالاتٍ مخيلةٍ. تذيعُ: توافقُ
 الأشعارِ محتملٌ ولكن التوافقُ في النداءِ
 الحرِّ من بدنٍ إلي بدنٍ عسيبٍ. مَنْ
 سيحضنُ غُرَّتينا ينداحُ فوق نوافذي ما زالَ
 ملمسه الطريُّ على يدي؟ أنا. لا. أنتَ حين
 ألتكَّ غُزْلائي مُشَرَّدةً رَكَنتَ إلى قناعِ
 الأنبياءِ، فكُنْ نبياً لا عشيقاً، إنني
 أختارُ صدَّعي. كيف للتاريخ أن يفزو
 بروحي دون أن أنحلَّ أمكنةً؟

الكوزمو - إنديانا - زهرة البستان -

الأهالي - هيئة الكتاب - الهرم -

٣ شارع حسين رشاد - عين شمس - عبد الخالق ثروت.

مُبَاغِتَةٌ حُرُوفُ الْأَبْجَدِيَةِ لِلْمَسَافِرِ، كَانَ
يَمْشِي خَلْفَ وَهْوَةِ الْقَصَائِدِ، يَسْتَدِلُّ مِنْ
الشَّجَى الشَّعْرِيِّ أَنْ فَوَادِهِ الْمَلْمُوسَ مَلْمُوسٌ،
يَقُولُ لِنَفْسِهِ: الشَّعْرُ افْتِصَاحُ الْعَاشِقِينَ،
يَخْطُ فِي جَلْبَابِهِ: أَهْوَى - هَوَيْتُ - هَوَى،
يَخْطُ الرِّيحُ فَوْقَ الرَّمْلِ: صَدَّ - يَصُدُّ -
صَدًّا. كَانَ نَائِي خَلْفَ هَاجِرَةٍ يَسِيلُ:
مَجَازُهُ أَرْدَاهُ فِي شَفَقٍ، وَجَرَّتْهُ الْقَوَافِي
نَحْوَ مَقْتَلِهِ الْبَدِيعِ، فَرَاخَ يَتَلَوُ:

وَيْحَ الْقَوَافِي مَا لَهَا سَفْسَفَتْ
حَظِّي، كَأَنِّي كُنْتُ سَفْسَفْتُهَا.

ألم تكن هُوجاً، فَسَدَّتْهَا
 ألم تكن عُوجاً، فَتَقَفَّتْهَا؟
 كم كلمات حُكَّتْ أبراها
 وَسَطَّتْهَا الحُسْنُ، وَطَرَفَتْهَا
 أَنْحَتْ عَلَى حَظِي بِمِيزَاتِهَا
 شُكراً، لِأَنِّي كُنْتُ أَرْفَعْتُهَا
 تَعَسَّفْتَنِي أَنْ رَأَيْتَنِي امراً
 لَمْ تَرْنِي، قَطُّ، تَعَسَّفْتُهَا

يَظَلُّ النَّايُّ مَشْدُوداً إِلَى زَمَنِ يَجِيءُ. وهذه
 امرأةُ المشاويرِ المَوْجَلَةِ: الأراجيحِ،
 الجزيرةِ وسطَ موجٍ والمدى بدنانٍ، سَلِ
 الجسم من أوضارِ نورٍ غاشمٍ، قَذِفِ
 الأسى بحجارةٍ من مُزْهَرَاتِ الروحِ. كيفَ
 لعازِفٍ أَنْ يَسْتَقِيمَ بِجَنْبِ عَيْنَيْهَا وَمَخْدَعِهَا
 الَّذِي لَمْ تَوْرِقِ الأحلامُ فِيهِ لَغِيرِ أغْنِيَةِ بلا

نبض المغنين؟ المغني كان يدرك أن غنوته
مغامرة، فيصرخ:

ليس لي وطن سِوَايَ
أنا المُضَلَّلُ باليقين أنا المُوَطَّنُ في دِمَائِي
كَأَنَّ الصَّبِيحَ طَعَنَاتُ بِلَا جَسَدٍ طُعْمِينَ،
أَوْ كَأَنَّ الشَّرْحَ يَمْشِي فِي خُطَايَ.

ثلاثينية دأست على فَصَيْنِ مِنَ أَلْقَى، تُكَبِّلُ
فِي انْتِبَاهَتِهَا الْفَوَادِ وَتَوَقِّظُ الْمَزَلَّاجَ،
تُطَلِّقُ طَيْرَهَا فِي الْحِلْمِ، تَحْكِي: شُفْتُ
وَرَدًا حَكَّ فِي رِئَّتِي، وَالْفَجْرِي كَانَ
بِقَرَبِ نَبْعِ الْمَاءِ يَخْطِفُنِي وَيَهْمِسُ فِي:
كُونِي لِصَقِّ قَلْبِي كِي أَدُومَ عَلَى بِلَادِي،
وَاسْمَعِي عَزْفِي: لَكَ الشَّجَرُ الْبَظْلِيلُ وَفَوْقَهُ
رِيحٌ وَتَحْتَ الرِّيحِ رِيحٌ، فَاشْرَبِي مَائِي.
خَلَعْتُ الثَّوْبَ لِلْفَجْرِيِّ، ثُمَّ صَحَوْتُ مِنْ

نومي. أنا امرأةٌ مقامرةٌ بأعماري، ترى
سنواتها مَجْلُوءَةٌ في المِضْعِ المسنونِ،
مُغْرَمَةٌ بغيبياتِ حَقْنِ مَوْضِعِي في
المِصْحَاحِ البعيدة: أَسْتَرِيحُ مِنَ اللّٰهَاتِ
الحيِّ، أَغْدُو طِينَةً بِيضَاءَ طَائِرَةٍ، أَكْمِلُ
حَقَائِقِي بِنُصُوعِ وَشْكِ الْمَوْتِ أَوْ وَشْكِ
الْفِرَامِ، أَرَى الْمَسَافَةَ بَيْنَ مَا يَجْرِي جَوَارَ
الرُّوحِ مِنْ سُبُلٍ وَمَا يَجْرِي وَرَاءَ زَجَاجِ
مُسْتَشْفَايَ شَاسِعَةً، فَخُذْ غَيْبِيَّيْتِي
لِقَصِيدِكَ الْآتِي مَثِيراً عَاطِظِياً. هَذِهِ امْرَأَةٌ
مُسَاحَةٌ بِكَسْرِ فِي الْحَنَايَا، تَسْتَفِيثُ مِنْ
انْفِجَارِ الْحُسْنِ فِي الدُّنْيَا بِنَبْشِ مَخَازِنِ
الْحُزَنِ الْمَكُومِ فِي ظِلَامِ الرُّوحِ، ثُمَّ تَجِيؤُنِي
كِي أَفْصَلَ الْإِبْقَاعَ فِي سَقَطَاتِهَا عَنْ رَنَّةِ
تَصَفٍّ ابْتِدَاءَ مَسِيرِ جِثْمَانِي إِلَى نَفْسِي،
تَقُولُ: انْزِعْ جَنِينِي عَنْ دَمِي الْفَسْدَانِ،

واخلقني من الإرث المقدس، وابتكر لي
حُجْرَةً فِي الْمُسْتَرَى، وامنحَ حَفِيفَ ضِيَاكَ
عني. كيف لا ينحلُّ تاريخٌ من اللوعاتِ
أزمنةً؛

مايو مهاجِمُ الفؤادِ،
حزيرانُ الذي أشعلَ الطُّرُقَاتِ بخطوتي الحائرة،
منتصفُ الشهرِ الذي مات فيه بجمالِيون،
عيدُ الميلادِ يَقلِّبُ الزَّغَارِيدَ حَشْرَجَةً،
تموزُ الذي انتقضى لتبقى على الصدرِ منه دَهْسَةٌ،
صيفُ آخرُ لي ذو وِطْأَةٍ أُخْرَى عليّ،
تسمونَ ظهيرةً.

أَغْسَطُسُ غائِرٌ فِي اللحمِ يَهْبِطُ مُثْقَلًا
بِالْمَيْتِينَ، وهذه امرأةٌ سَتَزْهَرُ فِي مِحْفَتِهَا
الأصائلُ وهي تنقلُ موتَهَا من شُرْفَةٍ
لِحَارَةٍ، تغفو على قلبي وتقطعه

بمشرطها المفضض. هل أَسَمَّيْهَا الطقوسَ
أم اختيارات مؤقتة؟ هل الشَّعْرُ الجنونُ
أم الجنونُ الشَّعْرُ؟ في أوراقها السَّريَّةِ
الحِرْزُ الذي أخَفَّتْهُ عَنْ بَعْلِ يَطِيلُ قِرَاءَةُ
الأنقاضِ تحت مخبئةٍ ظلت بها بقعٌ من الدَّمِ
المجفَّفِ والوثائق. قالت: الحرمانُ كارثةٌ،
ولكنني أريدُكَ ربَّ رُوحِي لا عَشيقاً
خاطفاً في ليلةٍ مخطوفة. هذا أغسسطسُ
طافحٌ بالأغنياتِ وتلك مَوْقِعَتِي الأخيرةُ،
كيف أفصل بينَ ربِّ والعشيقِ على كُرَيَاتِ
الدَّماءِ؟ هنا المقامرةُ الثلاثينيةُ اتخذتْ
تَهَشُّمَهَا خليلاً زائراً في كلِّ جوعٍ:
صمَّتْهَا الصَّافِي قنَاعٌ للكلامِ، وضحكها
العَصْبِيُّ أَقْتَعَةُ البكاءِ، ونارُهَا الحَرَّى
قنَاعٌ للرمادِ، مَسِيرُهَا مُتَقَنِّعٌ بِتَوْقِفِ
وَحُطَامِهَا الهاوي قنَاعٌ للتماسِكِ، موتُهَا

الممتدُّ أقتعةً لموتٍ طارئٍ، وقناعُها
 البادي قناعٌ للقباعِ. فكيفُ أفضلُ في
 دمي بين المؤلِّه والعشيقِ؟ وذِي مؤنَّثةٍ
 تداري وردَّها عن هجمةِ الشعراءِ. ميراثُ
 الصبايا مثقلٌ بالربِّ. لا تأخذُ خطايَ إلى
 شعائركَ، انتظرني عندَ كسرِ القلبِ: قد
 ينساقُ عمري للبحيرةِ، قد أغافلُ
 حارسيَّ - شيايَ المغلولِ والتَّركاتِ -
 في ليلٍ بدائيٍّ وأرمني عندَ نايكٍ ناهدي
 كما اقترحتَ عليَّ في مايو الحزينِ. ارقبْ
 جروحي ضمنَ جيمِكُم الوسيعةِ: قد أصيرُ
 بهيجةً، وأجيءُ في عاجي وأبراجي

بهيجة، انتظرنى عند كسْرِ القلبِ يا ربِّي
العشيقُ.

قدّمتُ لها قلوبي: حسن طلب، جمال
القصاص، ماجد يوسف، أمجد ريان،
وليد منير، عمر جهان، محمود نسيم.
وقلتُ: اسكني في كل قلبٍ عمراً،
وسيري على كل قلبٍ دهرأ،
وفي آخر السكنى والمسير، سوف تُرَيْنَ
شُبْرَةَ تُلْمُ قَسَّ العُشِّ.
ابتسمتُ، وأعطتُ فؤادها للصحراءِ،
واختارت الرجالَ الجوفَ والجروحَ.

عرضتُ عليها ثرواتي: عادل السيوي،
عبد المنعم تليمة، ماجدة الطهطاوي،
إدوار الخراط، مراد متير، محمد هشام،
أحمد بهاء.

وقلت: أنفقي من كل ثروة ماستين،
واحفظي من كل ثروة ماستين،
وفي آخر الإنفاق والحِفظ سوف
تلمحينني عند النبع: فقيراً، وهادئاً.
فابتسمت، وواصلت قراءة «التفكُّك» للجزائري.
وراحت ترقبُ الكُتبان.

تنازلتُ لها عن غصوني: سيف الرحبي،
عمر سعادة، قاسم حداد، سعاد الدجاني،
محمد الشامي، حسين البدري، هاشم شفيق.

وقلتُ: استظلي بكلّ غصنٍ في سَفرةٍ،
 وكُلّي من ثمارِ كلّ غصنٍ في رَمادةٍ،
 وفي آخرِ الأسفارِ والشَّيعِ، سوف
 تلتقيَن وجهك ووجهي:
 واقفَيَن في الرمضاءِ جائِعَيَن.
 فأطرقتُ إلى نزيها الداخلي، وأغلقتُ
 على الفضاءِ شُرْفَةً،
 ثم أفلتتُ حبَلها لتَهوي إلى بئرِها
 السحيقِ،
 تاركةً على حافته العُقدَ الذي باعته ليلةَ
 الجنينِ.
 ويطيئاً كان صوتٌ من القاعِ يصعدُ:

انتظرني عند كَسْرِ القلبِ يا عشيقِي.
وصوتٌ إلى القاع يَهْبِطُ:

نهايتها مُعَذِّبَةٌ، وأولُ أفقِها جمرُ
رمت لي بعضَ نرجسَةٍ، فكان المِلْحُ والمُرُّ
هي الأوصافُ في صِفَةٍ، وفوقَ سريرِها
قَبْرُ
كَأَنَّ العَمَرَ في أوجاعِها عَمْرُ.

نزيفُ الحاءِ والباءِ

شاحبة تنهاوى بموازةِ الوجدِ،
 وتوغلُ في تزيينِ الرَّمَسِ بِأَكْبَادِ الْوَجَادِينِ،
 مشيئتها كمثرى فاسدة،
 وأناملها أشباحٌ تتخطى حَدَّ المخلوقاتِ
 لتصنعَ شهوتها المنهارةَ في أعضائي.
 جُنَّ جنونُ العشاقينِ،
 تضيقُ قطاعاتُ الأفئدةِ الطويلةِ كي تفرقَ في
 تجسيمِ الوحدةِ بينِ فراغَيْنِ حزينَيْنِ،
 هتفتُ: المرأةُ بهوُ الدنيا،
 والرجلُ قريبٌ من رُكبتِها الرُّشاحَةِ بدماءِ
 الموهومينِ.
 خذوها وخذوني،
 جُنَّ جنونُ العشاقينِ:

لماذا كتبت سيدة ناحلة أقصوصتها عن سيدة
ناحلة تُعطي نهدِها الحُرَيْنِ لنافذة؟
وأنا اسمي نافذة

لا ذاكرة لي، وعيوني ليس لها إنسان،
لكن وقائع موقعتي صاحبة بدمي الهربان،
فأحكم غلق الأحرف يا نوبتجي وعقم
خاطرتي ذراً لشوائب روعي.

كان الجلوكوز ثقيلاً فوق التاجي،
فهدت فوق البحر ذراعين مجففتين، وقالت:
هذا نصف العام وعام منذ خطفتك بشحوبي
تاركة بدني طلاقاً في ريح الشرق كإبداع
المحرومين،

فحررت من قوس مرارتك خلايائي.

خذوها وخذوني

لا جن جنون المعشوقين،

أنا اسمي نافذة
 فلماذا حطت سيدةً واهمةً شال السيدة
 الواهمة على خصري؟
 وأباح لي سنبلةً من حَرَفَيْنِ اخترقا ردهاتِ
 المستشفى الخيريِّ وراحا يختصمان:

الحاءُ تقول: أنا الحرية، والحلمُ،
 الحلمُ، حينَ الحنَّانين، حياةً، والحسنُ،
 الحبلُ، حبورُ حبيبٍ بحبيب، حَزَمُ،
 والحكمةُ، والحكمُ، حماساتُ حمأة
 حمى، والحزنُ، الحرمانُ، حصاناتُ
 الحيري، وحنانُ حنوين، وحبُّ.

والباءُ تقول: أنا البدنُ، البحرُ، بكاره
 بهكئةٍ بكر، والبينُ، البددانُ، براءة
 برآين، البدعُ، بداياتُ البوح،
 البشرية، بُردةُ بردان، بهاء، بستانُ

البستاني، البنت، ويسمة بكائين
بيشري باسمه، بيع، والبتر، وبغض.

هذي سنة قاسية،
طير في المؤتمر الرابع للأدباء المصريين يرف
على الأعين ويَزول،
فتُخفي شاحبة عورتها في ترجمة الملك
الضليل،

وتختار مصائدَها بيدَيْن مُنعمَتَيْن،
وهذي سنة قاسية فوق ذراعي،
أنا أعرف أن الحاء إذا هتقت مُستضعفة في
الليل: أنا الحق،
ستجار فوق التل الباء مُعززة: لكني البهتان.

فليس على سبتمبر إلا أن يتحلل عبر ممرات
الفندق
كي يرسم بدمائي خاتمة لبدايا كانت حُبلى

بنهايات كامنة من أول «هذا الجرحُ
معادلةٌ» حتى ثأمتني.

هذا غُفرانُ المجروحين،
أقولُ لطارقِ بابي وهو يفاجئني بمفاضحةِ
الروح:

«ينام خَلِيُونٌ وليس ينام شَجِيُونٌ»،
أنا اسمي نافذةٌ لكنَّ الصيفَ يياغتني بامرأةٍ
تختصرُ اللبؤات،

وتبتكرُ الحيلَ الفتيّةَ في إقناعِ النظارةِ
بالطعناتِ المدرّسات،
العقدةُ محكمةُ الحبِّك:

فهذا جمهورٌ يتوجعُ ألماً واستمتاعاً بالألم،
وهذا بطلٌ أسطوريٌّ

يَتَحَسَّسُ كعبَ فجيفته حينَ تهاوى بسهامِ
الغدارين،
الإكسسوارُ جديدٌ،

والأزياء مطابقةً لمشاهدٍ تدميرِ الذاتِ
فليسَ علي حائي إلا أن تتقمصَ ذاكرةَ
خماسينَ،
وترقبَ كيف يصيرُ الجسدُ شفيفاً كمجازِ
البُلغاءِ،
وتعلو فوق التلقينِ تردُّ الغيبةَ عني.

كان الجوّالونَ على الطرقاتِ يُغنّونَ:
اخطفَ سيدهُ ناحلةً يا فرحانُ،
وخصّ ملامحَها بشجيراتِ المنزلِ ثم اغسلها
في حرقينِ.
وكنْتُ أصيحُ: خذوها وخذوني، ليسَ
الفرحانُ الفرحانُ،
حياتُك مُورقةٌ في التابوتِ،
وأنتِ مُسلّحةٌ بالكسْرِ الفِطريِّ وراءَ الأضلاعِ
الناقصةِ،
الحرقانِ احترقا في العيينِ مُساجلةً:

قالت حاء: في الحدّادون، الحفّاظون،
الحُرّاس، الحَصّادون، حرافيشُ الحي،
الحدّاءون، الحَاكّة، حُمّالُ حصّادِ
الحقل، الحكّاءون، الخطّابون، حرائرُ
حمص، الحَصّانون.

فقالت باء: وأنا في البنّاءون،
البصّاصون، الباعة، والبَدّاعون،
بشارفة البيرقدار، البصّارون، بهانسةُ
البرّيين، البدو، بلاغيو البصرة، وبناتُ
البدنِ البني، البربر، والبوّاسون.

أنا لستُ حكيمًا كالينبوع،
وخطواتي في ميدانِ القلعة لم تُكْ مرحمةُ
الفقهاء،
الزهرةُ إنْ تفتَحْ في سبتمبر خامسةُ،

فانتشلي وردك عني إني أتشكك في وردية
هذا الورد،
وأدرك أن الحائنين يموتون على ميسرة.
هذا غفران المجروحين،
تميل السيدة على السيدة؛ اصطبري، تلك
تباريح الأنثى،
فاعتمدي فوق المرفق لتقومي باهظة
ومكلفة بالسير من الشريان إلى الشريان،
الجوالون يشيلون عن الموهومة أحجار البيت
المهدوم،
ويلتقطون من الردم الخاتم والملموس بسيدة
وروايات مخطوطات وثعابين.
يساري قال: الحزب سيمتح للوردة نسفاً
وقناديل،
الحزب هدى الحيرانين.
التاجر قال: سأعطيك الحرية بثلاثة آلاف،

وسأمنحك الأمن بخمسِ رصاصات،
قال الجوّالون: على إيماءِها أبنوسُ يتجدّد
في فسقِ المحتاجين.

أديرُ الآلة فأقولُ لصاحبِ «إشراقاتِ»:
البحرُ بغيرِ امرأةٍ ماءٌ في ملحٍ في ماء،
بالأنثى يصبحُ موجاً هياجاً وسياداتٍ تنغلُ
في خلقِ شواقين.

أقولُ لنفسِي: جنّ جنونُ العشّاقين،
أنا أعرفُ أن الأنثى بحرٌ مشبوكٌ في

خاصرة،

فأشرتُ إلى شَيْخِي أَنْ يُدْخَلَ جَيْمَ بهيجةٍ في
نهرِ الجيميين،

هنيهةً كانت تنسلُّ على الليلِ إلى مخدعِ
ضبّاطِ مطرودين من النيلِ الحرّبي،
وتبكي عند قراءةِ سادستي.

لا ذاكرةً لي، ويداي تديران الآلة:
- لم يكتبَ حَبَابٌ في محبوبٍ مثلَ سطوري
فيك وقولي:
«لأناملِ قدميها بهجةً أبريل»
- أنا المنذورةُ للغاتِ الغزليْنِ وبائي سيدةُ
النِّبراتِ.

الحَبَابُونَ غَفُورُونَ،
فلا بأسَ على العشاقِ ولا بأسَ عليّ،
يقينُكَ كانَ عُروقَ يديّ،
وحلمُكَ كانَ شَجَايَ المردودِ إليّ،
تقولين: أنا المتهمةُ بمجازِكَ أنتِ المتهمةُ
بعينيّ،
امنحِ للقنديلِ الضّيّ.
ارتاحي يا قلقانةُ ليسَ لموعظتي كَفَّانِ،
وليسَ يؤجِّجُ ذاكرتي إلا حُرْفَانِ انخلفا ثم

انفلقا في صدري رثتين لدودين:
 تقولُ الحاءُ: أنا من قافيتي قيل بموجدة:
 «أفي كل عام غربةً ونزوحُ
 أما للنوى من ونية فتريحُ
 لقد طَلَحَ البَيْنُ المُشْتُ رَكَائِبِي
 فهل أَرَيْنَ البَيْنَ وهو طَلِيجُ
 وأرقتي بالرِّي نوحُ حمامة
 فتحتُ وذو البث الغريب ينوحُ
 على أنها ناحت ولم تذّر دمة
 ونُحْتُ وأسرابُ الدموع سُفُوحُ
 وناحت وفرخاها بحيثُ تراهما
 ومن دونِ أفراخي مهامه فيحُ»
 فتقولُ الباءُ: ولكن من قافيتي قيل
 بمذبحة:

«ما رَجَّعَ مَيَّةَ معموراً يطيفُ به
 غَيْلَانُ أشهى رَبِّي من رَبْعِها الخَرِبُ

وَلَا الْخَدُودُ وَقَدْ أُذْمِينَ مِنْ خَجَلٍ
 أَشْهَى إِلَى نَاضِرٍ مِنْ خَدَّهَا التَّرِبِ
 سَمَاجَةٌ غَنِيَتْ مَنَا الْعَيُونُ بِهَا
 عَنْ كُلِّ حُسْنٍ بَدَأَ أَوْ مَنَظَرٍ عَجَبٍ
 غَادَرَتْ فِيهَا بِهِيْمَ اللَّيْلِ وَهُوَ ضُحَى
 يَشُلُّهُ وَسَطُهَا صَبِيحٌ مِنَ اللَّهَبِ
 ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ وَالظُّلُمَاءُ عَاكِفَةٌ
 وَظُلْمَةٌ مِنْ دَخَانٍ فِي ضُحَى شَجَبٍ

هَذِي سَنَةٌ مِنْ لَحْمِ الْأَحْيَاءِ،
 وَذَلِكَ وَدَاعِي لِلْمُوهُومِينَ وَلِلْمُوهُومَاتِ،
 الشَّفَقَةُ أَعْلَى مِنْ عَيْنَيْكَ الْقَوْسَيْنِ فَعُضِّي
 التَّرْمُومَتِ بِشَفَتَيْكَ الْخَطَّائِنِ،
 الْمُوهُومُ اسْتَيْقَظَ بِالدَّمِ عَلَى الْحَاسِبَةِ،
 وَفَرَّحَانِي طَوَّحَ غُنَّتَهُ فَوْقَ الْأَهْرَامَاتِ،
 لِيَالِي قَلِيلَاتٍ فِي اللُّوْحِ،

وَأَتَمَّنْ مِنْكَ الشِّعْرُ، فَزِيدِي لِعَقَاقِيرِكَ قَدْحاً
حَتَّى تَسْتَجْلِي وَجْهَ امْرَأَةٍ كَانَتْ عَيْنَاهَا أَنْقَى
مِنْ حُنُكَيْهَا بِقَدَامَى الْجَدَلِيِّينَ.

وَفِي اللَّيْلِ انْفَكَّتْ خَشِياً يَصْنَعُ مِنْهُ النُّجَارُونَ
نُعُوشاً وَصَنَادِيقَ مَلُونَةً لِلْمُرسِ الشَّعْبِيِّ،
فَرُوحِي لْخَرَابِ الرُّوحِ مُطَهَّمَةً:

فَلْتُعْرِقْكِ بِقَارِيهَا الْبَاءُ،
وَلْتَلَفْ عَلَى عَيْنَيْكِ الْفَادِهَتَيْنِ الْهَاءُ،
وَتَدْفَعْ جَسَدَكَ مِنْ قُبَّتِهَا لِلْهَآوِيَةِ الْجِيمُ،
فَسِيرِي بِسَلَامٍ،

هَذَا غُفْرَانُ الْمَجْرُوحِينَ:
دَمُ الْحَاءِ عَلَى عُنُقِكَ عُقْدٌ مِنْ أَكْبَادِ الْمَشْدُوهِينَ
بِمَسَّتِكَ الْخَطَّافَةِ،

وَصَدِيدُ الْبَاءِ يَلَطُّخُ خَصْرَكَ فِي مَرْقَدِكَ اللَّيْلِيِّ.
لِيَالِي قَلِيلَاتٍ،

وَيُؤَاتِينِي يَوْمٌ تُقْبِلُ فِي طَلْعَتِهِ حَاءٌ بَاءٌ

صافيةً ليسَ برائقها جثَّتْ تطفحُ في ذاكرةٍ
ليسَ ترى غيرَ نزيّفينِ انخرطاً في الزهو
المنزوفِ على مَشْرِحةِ الجَرَّاحينَ:
تُحَشِّرُجُ حاءٌ: مني حسنٌ طَلِبٌ،
وَحَمُورابي، حَمَيْرٌ، وحسينُ بنُ عليٍّ،
حُورسُ، وحُطَيْئَةُ، حُبِّي، حتشبسوت.
وباءٌ تَتَحَشِّرُجُ: لكنَّ مني بدرُ السيابِ،
بديعُ الهمذانيُّ، وينتأوُرُ، بُيِّنَةُ،
باحثةُ الباديةِ، وبلقيسُ، بلندُ، ويُسْرَى.

جاء الرجلُ الرَّمْزيُّ يعلمني أن الحاءَ
المحتَضرةَ في مقبرةِ العبادِينَ
ستهمسُ في مصرعِها القرويَّ:
«ولكنني حلمي».

والباءُ المحتَضرةُ في مقبرةِ المعبودينَ

ستهمس في موت ملكي:
«وأنا يا حباب بهيجة».

هذا غفرانُ المجرّوحين،
انتعشي هونا في جرعاتِ الجلوكوزِ وسيري
في الشرفةِ متمهلاً،
لتُعذّبكَ قصائدُ صنّوي القصّاصِ.
وتحرّمك الدّعةُ وعودُ عيونك لي
وحديثك عن أنملتين تشيلان الكونَ وتحتهما
جسمانِ وحيدان ولغةٌ متوحّدةٌ،
وتُجأيلك كأشباحِ القتلى قافيةُ الحلاجِ
الشّينيةُ في ثالثي،
فَذَرِينِي أَحْفَرُ في لحمي:
يا حاثيُونِ تواصُوا بالموسيقى،
واشتعلوا في أشجارِ المشتعلين.

خذوها وخذوني،
 جُنَّ جنونُ العشاقينَ ولا جُنَّ جنونُ
 المعشوقينَ،
 فخُبِّي في الألقِ المصوصِ ورُصِّي كمثري
 فاسدةً،
 غَفَرَ القلبُ الخدعاتِ المنقوشاتِ بأبْهةٍ،
 فابتسمي للطاعونِ،
 أنا أكتبُ كالمعتوهينَ،
 كمن ينطقُ آخرَةً ليموتَ غداً في شارعِ ثروتٍ،
 كالمحكومينَ بتصفيةِ الذاتِ بسكينِ الحَرْفِ:
 أنا أخرجُكَ من جَسْدي.

سلام

يغفو الحيرانون قليلاً يغفو الحيرانون،
ويلتمس الملموسون الرحمة من أربابِ
مصروعين،

وهذي عابرةٌ من روح النعناعِ تراقبُ في
مَسْتَهَا المِحْنَةِ والمَشْرِطِ،
وتقرُّ من الضاحيةِ إلى الطيرانِ.

على الأبوابِ صواعقُ صامتةٍ تتراءى وتذوبُ،
وأستلَّةٌ تتسابُّ: هل الرجلُ هو الرجلُ الفرحانُ،
هل السيدةُ هي السيدةُ الموهومةُ؟
نبلاءٌ وحيدون يموتون،

سلامٌ للناجينَ من الأخدودِ وللناجينَ من
الليلكةِ المصعوقةِ،
غابت سيدةٌ في وهرانَ،

وجعبتها ملأى بالذاكرة المحروقة وحكاياتٍ

حارقة:

أوراقك تأتيني وأنا أمشي من تهشيمٍ

لهشيم، ويداك مجرّحتان.

أنا لستُ النافذة،

ولستُ سوى نصفِ الروحِ المخبوءِ وراءِ قناعِ

الزُّهاد،

فخفّف أشجارك عن زرقائي،

وتجملْ بالوهيتك المتقنة وبالكونشرتو

الذاتي.

الحيرانون سيلتقطون النجمة في الحداقات،

فكنْ بجواري لا فيّ وكنْ فيّ ولا بجواري،

قالت خامسةٌ أني سأواصلُ تصفية الكونِ على

المعصم:

أبني أربعة حوائطٍ برميي،

كي أفترضَ على موتاي بهائج صاعقة.

الأربابُ اللّماسونَ يعودونَ من السردابِ،
فيا سيدتي المكنوزة بالقمح وبالياقوتِ
انتشري في الذراتِ
وصيري مآثرة المصدوعين،
الليلة طيبي فالحيرانونَ سينسلونَ إلى
التابوتِ،
ينامونَ قليلاً حتى تندملَ النُدباتُ،
فلا تندھشي من مَوْتِي،
سَلِّمْ فؤادك من دَهْشَاتِ المسلويينَ،
ولا تعترفي أن الصوتَ أتاكَ من البئرِ
بصحراءِ الواحاتِ،
يقول: لتفاحتها قِتْدِيلُ الطبقاتِ،
وفي ثنياتِ ملاءِها اسمٌ من أسمائي.

يَتَوَقَّفُ في الموتِ نَزيفُ الأحياءِ،
وتسكنُ في الضَّلَعِ صواعقُ صامئةٍ تتراءى
وتذوبُ،

اختبئي في النص كما يختبئ القصاصون،
ولا تقترحي أني الماء المتترقق فوق هجير
عزيرة مصر،

فحاشا للآمس أن يصبح ملموساً،
حاشاك من اللوعة يا امرأة أسمت باء
براءتها رائدة المزدوجين،
تُرى أنتِ الموهومة أم رجلٌ

كان يريدك بين يديه حقيقاتِ مجبولاتٍ
بترابِ القفطيين؟

سلامٌ للمعشوقين المحبوسين بوهم الحق.
سلامٌ للعشاق المطلوقين بوهم الأبيض،
وسلامٌ للعامين طويلين الأيمن انفجرا في
جنبتي

ومنعاني نعمة أن أجرح،
وابتكرا في روحي سيده صغرى

بين أناملِ قدميها النطفاتُ تنزُّ مُحَرَّرَةٌ،
 يصفو النهرُ ويغفو الحيرانون،
 وخلفَ الغيمِ يموتُ النبلاءُ الحاثيون،
 لينسجَمَ المدفونونَ مع الرُّمُسِ وينسجَمَ
 الرُّمُسُ مع المدفونين،
 وتجلو قارعةُ
 فسمّاحُ يا مشتاقونَ
 سَمّاحُ يا صيادونَ تعدّونَ السمكَ الأبيضَ
 لنقاها شاحبةً،
 وسَمّاحُ يا شعراءَ السبعينياتِ مَنْحَتُمُ أخيلةُ
 لامرأةٍ أقصى من سنبلَةٍ في النحرِ،
 تَلَفُ على الدورِ بوهراً،
 طريقَتُها ما زالت مَرْجَ الفضةِ في الأسماءِ،
 وما زالت مالكةً.

يصفو النهرُ ويغفو الحيرانونَ ولا يغفو
 جَمْرٌ بَشَرِيٌّ،
 لكنَّ الروحَ الملموسةَ تتراعى بفضاءِ الدنيا
 وتضيعُ؛
 فلا السيدةُ هي السيدةُ.
 ولا الرجلُ هو الرجلُ،
 ولا خرجتْ بَاءً من جسدي.

نوفمبر ١٩٨٨

«يا نسيَمَ الروحِ قولي للرُّشَاءِ للحلاج،
 «موقف البهر» للتَّفَرُّي،
 «وإنَّ دلالاً فانتَ أهلٌ لذاك» لابن الفارض،
 «ويحُ القوافي ما لها سَفَعَتُ» لابن الرومي،
 «أبى كلَّ عامِ غربةً ونزوحاً لأبي دعبل الجهمي،
 «ما رُبَّ مئةٍ معموراءَ لأبي تمام،

ديوان

دهاليزي
والصيف ذو الوطاء
(١٩٩٠)

«أدخلني معه مدخلاً أراني الخلق كلهم بين أصبعي»

أبوزيد البسطامي

دهاليزي

هذه السماءُ

للفحيح الغامضِ في قلبي،
لكسرِ الحزنِ التي تنفلُ في رثتي،
ولي.

لي: البالونةُ الخضراءُ
ولأعضائي نشوةُ الفداحة.

قابلوا صفصا في عند مهابطِ الوديان
ومصاعدِ الجبال،
قابلوا نسائي عند الأساطيرِ وغرائبِ الأجساد.
وانتظروني عند اللغة:
سأجيء
دلالةً بعد دلالة.

إنني أبداً في: يكون
حيث الرمالُ عضويةً
والكائناتُ كليمَةً،
حيث كهوفُ الجنسِ والذاتيةُ الصانعةُ
وحيث كل ناي: مراوِدة.
قابلوني هناك في:
داخلياً - داخلياً.

سلاماً أيتها القرنفلةُ التي فاضت على جثتي
سلاماً.

أدخلتني إلى سُرّة الدجى ندابةً،
للفولكلوريّ في نحيبها تسميتُ اسماً
وكنْتُ لا أسمى في القرنفلة.

كانت تغني غناءً.
وكنْتُ أغني غناءً.

ماسكاً جميزةً ثقيلةً دلفتُ في عتمةِ أليقة،
وفي كل تينةٍ قنديلٍ.
سَمَّيْتُهَا سِرّاً: جميزةً للقناديلِ الخالكة.
على كل بابٍ أطرقُ طَرَقاً حانياً،
وإذ أطرقُ طَرَقاً ثقيلاً تُفتحُ الأبوابُ فوهةً وغموضاً
فأعطي لكلِّ كائنٍ حزمةً من الضوءِ المعتم.
قالت: لا تُسَمِّنِي عند الجنائن.
فعرَّيْتُهَا وصرْتُ أرشقُ القناديلِ في لحمها الوطني،
حتى صارت جميزةً للقناديلِ الخالكة
فأبدلتُ التسميةَ بكيسٍ من الملح المنقوع زيتاً،
وسمَّيْتُهَا عند الوجيعة.

أرقدتُني تحت تينةٍ ريمٍ على القاع.
ورقصتُ عليّ.
قلتُ: في كل سِكَّةٍ وجيعةٌ وضوءٌ.
فرقصتُ على ماءٍ ورقصتُ عليّ.

أيقنتُ ما يلي يقيناً:
أن المَدَى ليونةٌ وأسماء.
أن النهرَ ضمّاً.
وأن الغناءَ أهتَان:
أهةٌ في الشرق البرتقاليّ،
وأهةٌ في الغصون.
وكنْتُ أجري رائقاً - وصحتُ:
الينبوعةَ الينبوعة.
فأرقدتُني تحت سَكّة: لما رنا حدثتني.
وقطفتُ في صحوةٍ عنباً
فقطفتُ في غيبوبةٍ عنباً.
وجاءني غُلامُ الشفافةِ راكباً سَفناً ويراغاً طازجاً،
صحتُ: في الشجريّ كمين للاغتباط.
فأرقدتُني تحت خيمة: ٢٥ مارس ١٩٧٣ .
أيقنتُ أن المَدَى تميمةٌ والجسمُ نَبْلةٌ،

وصحّت: أنا سُطِرْتُ في الأسماء.
فلما شَقَّقْتُ كبدي تحت جميزة:
لا أُسمَى في القرنفلة،
شهقت: سلاماً أيتها.

مئذنة لشفيقة - ومئذنة لي.
كنت أنشرُ على حقلٍ أعضائي
وسروالي
والوشم.
كنت أنشرُ على حقلٍ أعضاء.

جسمك بحجم الأرغول
تكوين في الرّي والذهول.
شجرة تقول للبطن الجميل:
كنت تجرحين الفيزيقي وتفتحين شقاً في الدموي
وفوق كل قنطرة نرف وخرافة.

في فجميعتي قيل:
وهوهُةً تجرُفُ الجنوبيّ
جسْمٌ بحجم الأرغول يقطع الجغرافيا الواطئة
ويخترمُ الإيقاعَ والعويل.
قلت: ابركي على جثةِ السكونِ واعبثي بي.

تساءلتُ في غنائِي:
ماذا تقول الأشجارُ للبطن الجميل؟
ردّ الجنوبيّ: شعبٌ من الأوجاع والسيولة.
تساءلتُ: هل أتاكم سلسبيل الوهوهات
الذي فتّحه المغني في أول الطبول؟
قيل: جسمٌ بحجم الأرغول.

الفصنُ لي، وللوجيعه.
ذلك الميآلُ على السطوح الحاضنة.
صراخ.

قابلتُها وهي تجبُّ في ثيابها تفاحة طائفة
وتنادر مستقرها نحو شهقة الحلول.
قلتُ: أنت في النواء لا في القبول.

نحلة تحرقين السقيفة
وتقضمين تفاحة التراجيدي.
مئذنة للأزرق -
ومئذنة لي.

لا لصقتُ في حلمة: رجلَ رحيلاً.
وجهي للأبيض غير المتوسط،
وساقاي لقوس الانفلات.

أدخلتني تحت عريشة: صباة صباة.
وصبّت على لحمي الريمي أباريق دكاء سيالة،
وقالت:

أنا بكيتك في أول البكاء وفي آخر البكاء.

ثم دهنّت حقويّ وقالت:

صبابتان:

صبايةً للحزن وصبايةً للفرحة.

فلما اخترتُ كالطفل صبايةً الفرحة،

تلاشتُ على نهرٍ وهي تبكي وتقول:

أفسدت يا قوتتي

أفسدت يا قوتتي.

وكنّت كاتباً ما يلي:

قَشَّرِي بِرْتَمَالَةَ الْجِسْمِ بِرْتَمَالَةً.

أنا علّمتهم وراء كل قشرة فاتحة:

عناقيد مساءٍ،

وشرفة ليمونٍ،

عرائش بحجم المسافة بين المناديل والبكاء

وقلت: غائبٌ في الأمواج غياباً،

وحاضرٌ في العريشة التي شهدت موتي ومولدي
فكانوا يُرْهصُونَ بي:
وَلَدًا لِلترعةِ الكامنة.

أخْبُ في النداء:
كانت وردةٌ لا سلكيةٌ وصلّنتي بذاكرتي،
وحطّنتني على الصوت الذي كان قال لي:
عليك الرمادي المليح.
فشبهتها في كتابتي بالبري
وشجّجتها في صحن المسافر خانة:
قبيلةٌ
وشهيقاً.

أنتِ تعلّمتِ أن تتقافزي على كفوف القابلة
وأنا سوف أكتب: انهضي في المادة نهوضاً.
أو انهضي في الفضائي حداً.

ثم سوف أكتب:
العشبُ يُقضي إلى الخلاء الذي يضاجع فيه
الرجالُ الغزالَ الجميلَ
وكنْتُ قَلْتُ زماناً ..
ارْتُقِي ذاكرتي.
ووقعي بيابي:
مستقلن.
ثم لُصقتُ في حلمةٍ: يجيء مجيئاً.

يا: للنداء.
سَبَرْتُ حَرْفاً:
أَمسكته في غابة الدهول
ولم أطلقه في غابة الصحوة.
وسبرتُ حرفاً ثانياً:
خبائثه في ياقوتة الشهوة،

ولم أخبئه في ياقوتة الهدوء.

وسبرتُ حرفاً ثالثاً:

حبسته في الرئتين حبساً.

صنعتُ بالحروف الثلاثة مثلاً بين الكتلة والحياة

وطفقتُ أسكبُ فيه دماً من ينبوع وبخوراً.

وغبتُ في تميمة:

مزروعة خطاي في تهدج الرثاء.

طلّع جسمٌ نحيل،

وصار يكبر يكبر حتى استوى في سماء:

لا يفهم الملوك والأباطرة.

ماسكاً جرّة مثقوبة تنزّح حليباً مخضراً

جاءني وقال: كل رملة محاولة.

فأخرجتُ حرفاً من الشهقة وحرفاً من الذهول

رميتُ واحداً بين الصخور الحية،

وواحداً في فم القطرة البيضاء.

قال لي: نسختني في الذرات والجِسي.
 فأطعمته حرفاً أخرجته من رثتي،
 فقام راقصاً عند غار:
 صُبَّتْ كؤوس الكون.
 وقذفَ عليّ جَرَّةً مثقوبةً قائلًا:
 في كل جَرَّةٍ خيالاتٌ ولهجةٌ.
 دهنتُ بالحليبِ جلبابي وجسمي،
 وسرتُ حتى آخر الرملة والارتعاش،
 ثم التفتُ:
 كان ما يزال راقصاً عند: صُبَّتْ.
 فقلتُ بغتةً:
 أنتَ عليّ قنديل.

وحدقتُ فيه
 كان ينتفي بطيناً بطيناً في الارتعاش والرمال.
 وعند الجَرَّةِ المثقوبة كانت هناك قطرة بيضاء.

فأدخلتُ حروبي وتمتمتُ:

صاحياً

صاحياً.

حاورتُ شبابي حواراً:

أنت أثقلتُ غصني وغبتَ في الرحيل

أنت أفلتتني من الفانتازيا ومن الرعب الصليفي

ولم تهبَّ فؤادي نقاوة الخطيئة.

وحاورتُ شبابي:

الفتاة في الجنينة المظلمة.

والفتى في الجنينة المظلمة.

يقضمان ثمرأ غامضاً.

قالت له: أجيؤك في الحَضر الليلي.

قال لها: أفرشُ لك في كل جنينة سروراً حياً

قال لها: يعلّقُ عشبٌ بثوبي.

وينصرفان.

قلتُ لشبابي:

بهما مَسٌّ منك وزعفرانة.

وقلتُ: ما يزالان كلُّ إعتامةٍ يجيئان،

يقضمان ثمرة الغموض والتكليم،

حتى يحترق الليلُ عليهما وهما يتقاضمان،

ويثوبهما شيءٌ من العشب البليل.

نطقُ شبابي:

كلُّ ليلٍ نَفَسٌ وملاءة.

وأنا أغيبُ في الرحيل.

أغنيةٌ لها - وحزنٌ لي.

يا حبيبي الخاسرَ الجميلَ كلُّ قنطرةٍ خديعة،

يا حبيبي الخاسرَ الجميلَ قفَّ قبالةَ جسدي،

واشهُقُ على:

قَوْمٌ،
 ومملكة،
 وبيتٌ سابِجٌ في الماءِ.
 يا حبيبي الخاسرَ الجميلَ لا تصبُ الدمَّ إلا في مناديلي
 فلم أصبُ الدمَّ إلا.
 فقالت: يا حبيبي الخاسرَ الجميلَ خذني على الحلفاءِ.
 وهمهتُ: في القنطرة القادمة
 سأشقُّ جيبِي على وَجَعَيْنِ:
 في كلِّ وجعِ حلْمَةٍ وعليلِ.
 طلعَ عليَّ الطالعُ لي.
 ومددني في سقيفةٍ: مُفَرِّدٌ.
 وكنتُ آتياً من شرخةِ الجسدِ البحريِّ راقصاً
 فزَعَقَ عليَّ عند قنطرة:
 في الإمكانِ الأبدعُ مما كان،
 فتمتعتُ: أنينٌ لي.

يكون أنثوياً ومائساً
يُرِينِي فِي غَيَابَتِي:
عقوداً طويلةً من مصاييحٍ لينةٍ تنثال على
مشارف المدينة انثيالاً
ويُرِينِي فِي صَحَاوَتِي:
فضاءً ممثلاً ماءً خَفُوفاً.
ثم يضطجع عابثاً في الحشائش عند ساقية:
تدخل الدوائر الخطوط.
فشقت تحت شجرة قميصها لي.

أحدوثاً للمرأة التي تحلم:
كنت - في غابة - تحتضر على جذعي وجذع نخلة
وكنتُ أسقيكَ من ريقِي والطفولة.
وأحكي لك حكاية البرتقال الجميل والبالونة الجميلة
والأرجوحة

وأنت في احتضاركَ الجميلِ جميلٌ.
ولكنني كنتُ أبكي وأداوئكُ بكبدِ اليمامة.

أحدوثُ ثانيةً للمرأة التي تحلم:
كنتُ في صحراءِ حفنةٍ من ترابٍ صغيرةٍ.
وكان سيلٌ من الماء يهبط من هضبةٍ عاليةٍ
نحو الصحراءِ الصغيرةِ وحفنةِ الترابِ الصغيرةِ
وأنا مرتاعةٌ أصرخُ أصرخُ،
وأحملُ ترابكُ بين قبضتيْ
بعيداً عن مجرى السيل الذي يقترب جارفاً،
أصرخُ أصرخُ حتى دهمك السيلُ
وقبضتاي صغيرتان.
وصرتُ في الماء ماءً وقبضتاي صغيرتان
فرحتُ بجوار النهر أبكي
أبكي
بدمعٍ واقعيٍّ.

أحدوثه نالته للمرأة التي تحلم:
جاءت المزدانة بالهودج والطلاوة،
باسمةً
وبطيئةً.
فرأتكَ عيناى الدامعتان راقداً تحت هضبة:
قتلنا ثم لم يُحيين.

أكتبُ على ظهرها الذي عندي:
تشبهين يناير ٧٧.
وأدخلُ في المראה والصولجان.
كانت تضاجعني على فسقية:
كلُّ السيوفِ قواطع.
فسرتُ بين أقوامٍ كثيرين رافعاً بدنها الذي
أتاني رحيماً
وكانوا ينشدون:
في كلِّ فسقية بطنٌ للأنوثة.

فأصقْتُ على بطنها الذي عندي رسوماً
نفخها الفارُعُ السرياليُّ في أثري.
ودلقتُ عند السيقان زيتاً وقماشةً خفيفةً.
قالت:

أنا جميعُك عند حدودٍ لا تلتَمَّ.
ونثرُك عند حدودٍ: اليمامة.

شاربٌ إبريقها في الهديل والصولجان
وكانت تفرط شبيهها في ترابٍ وتخلطني بالشبيه.
رَوَتْ ما يلي على القبيلة:
علَّمته كيف ينمحي في مواقيت الإبانة،
وعلمته كيف تقول الأعضاء قولاً،
ثم أريتُه في كل فسقية: بطونا.

تشَّيتُ تحت بخار: بطونا
وصنعتُ من شبيه جسمها وترأً وعضواً،

ثم غادرتُ مستقرِّي،
وصنعتُ من شبيه جسمها خليفةً وركضاً
وقلتُ:

يا يناير ٧٧ ضائع عشيقتي في الصولجان.
فضاجفها في المرارة والصولجان.
قلتُ: كن كراسةً وبدناً فجائئياً.
فكان.

كتبتُ على ظهرها الذي عندي:
كلُّ قوم فسقيةٌ
وكلُّ فسقيةٍ حُمولةٌ.
ثم ضاجعتها تحت ملاءة.
ألقْتُ إلى الليلِ جيداً.

كانوا أمام أفقٍ يقفون:
جاءت بناتُ قرمزياتٍ عارياتٌ يتقاذفن أثداءهن المضاءة
ضوءاً:

تحت كل بنتٍ فجّرُ سودّ ضاحكون يخبّون في أحواضٍ من
النعناع المطبوخ. وفوق كل بنتٍ كُتِلَ من الكون الملون وخررُ
ضخم ساطع. وأمام كل بنتٍ مآذنٌ مبلولةٌ ومناديلٌ مخلوطة
بسائلٍ يشبه زيت القناديل التي تكون في الأضرحة. ووراء كل
بنتٍ مرجٌ حناءٍ يترجرجُ ضارباً أدبارهن، فيضحكن مائساتٍ
والفجّرُ السودّ يضحكون مائسين.

ثم كنّ جميعاً يعجنّ شيئاً مشابهاً لوادي النيل ويصنعن من
العجين شيئاً لدنّاً يعضفنه مضغّةً واحدةً ثم يقذفن على كل
رايةٍ قطعةً مريويةً بريقهن مريويةً.

وكانوا أمام أفقٍ ثانٍ يقفون:

جثتُ أنا - وكنت ملفوفاً في قماشةٍ وسيمة -
أعطيتُ كل واحدٍ ناقوساً في حجم خاتمي،

وتلوّث عليهم كتاب امرأتي الذي تركته على ظهري،
وأطلعتهم على ما كان مني يوم قُضمت كعكةُ الطلوع والبدن.

ثم مَسَكْتُ كُلَّ وَاحِدٍ خِرْقَةً مِنْ قَمِيصِ امْرَأَتِي،
 وَأَمَرْتُهُمْ بِأَنْ يَضَعُوا كُلَّ خِرْقَةٍ فِي نَاقُوسٍ.
 وَلَمَّا فَعَلُوا أَمَرْتُهُمْ بِأَنْ يَضَعُوا النَوَاقِيسَ فِي سُرَاوِيلِهِمْ.
 فَلَمَّا فَعَلُوا صَرَفْتُهُمْ قَائِلًا:
 مَوْعِدُنَا. الْغَسَقُ الْقَادِمُ.
 فَانْصَرَفُوا، وَجَاءُوا فِي الْغَسَقِ،
 فَعَرَّيْتُهُمْ جَمِيعًا وَأَطْلَقْتُهُمْ فِي الصَّحَرَاءِ.

وَمَا زِلْتُ أَصْنَعُ بِهِمْ مِثْلَ صُنْعِي كُلِّ غَسَقٍ،
 حَتَّى امْتَلَأَ الْإِقْلِيمُ بِأَطْفَالِهِمْ مِنْ نِسَائِهِمْ،
 وَانْتَصَبَتْ عَلَى الصَّحَرَاءِ سَارِيَةٌ.
 فَأَحْكَمْتُ قِمَاشَتِي عَلَيَّ عَائِدًا إِلَى كُوخِي،
 أَتْلُو كِتَابَ امْرَأَتِي الَّذِي تَرَكْتَهُ عَلَى ظَهْرِي
 وَغَابَتْ مِنْذَ عَشْرِينَ خِيْمَةً.

ثم كانوا أمام أفقٍ أخيرٍ يقفون:
فجأةً أنشدوا:
لم يكن وصلك إلا.
ويكوا بكاءً عزيزاً.

يأتي على صيفه: نزيفاً.
عندما داهمه الغناء
خلع جلبابه الحريري نازلاً في الماء،
صارخاً عند ساقيةٍ على نهرٍ وحقلين.

وكان غناءً في الليالي يقول:
أيها المضرّج في الأرغول والجلباب الحريري.
قالوا: طعنته غانيةٌ كان يضاجعها عند
ساقيةٍ على نهرٍ وحقلين في السّحر السحيق.
وقالوا: جنيةٌ راودته عن عمره الجميل.

يكون يكتب في الخفاء مكتوباً:

فرح آخر ينتظرني

توت أجمل من توت شرفتي

ونباح أكثر دقاً.

أجاء في المضارعة، مهرولاً في ثياب:

يركض مبتلاً وحلواً حلاوة.

تجاء في المضارعة، مهرولة في ثياب:

تركض حلوة ومبتلة بللاً.

فيكتب مكتوبه الذي في الخفاء:

تخرجي فؤادي إلى القناطر الحليلة،

واصبغي المدى تشكلياً.

أنا الذي قلت:

يا غابة كوني حيلي.

فجاء لي بطيئاً وكاتباً،

يصفر صفيـره الميـاس فوق الجئة المعتوقة

صرخت: عريانة - عريانة.

قال: كل غابة سجادة وحالة.

ففتت شعرها إلي - وكتبت:

فتاطري متكأ.

فصرت في غناء يجيئني كل عراء

أعلم ذاتي:

المسافة بين ميدان الدقي وبين الجبال السبعة

نصل نابض وسبيل من القطط الخضراء.

وأعلم ذاتي:

بين الجرح والجرح تشكيل.

فتفتت على ضوء إلي،

ثم مددت شعرها صوبي وفتتني في الذي مددت لفا.

أكون عند اللهجة نازفا.

مغمفا: كل عشب حساسية.

سين: سكين.

له ما لي من الأعشاب والبراءة
 وما جمعتُ من ثَمالةِ الفرجِ الوهميِّ
 وأكياسِ الحسرةِ..
 أدعوه إلى وليمة قلبي،
 وأمنحه الفطيرة التي بصحني،
 وأرقدُه على الوسادة التي كانت لأختي النائمة.
 يجيءُ خافتاً وحليماً
 وكنتُ أريده يجيءُ خافتاً وحليماً
 أفتحُ له طريقاً بين الدمِ وثيابي
 وأجعلُه يلاعبُ ملائكةَ حَقِيقَةٍ تتقافزُ على
 رُكبتَيَّ
 ثم يلاعبُ قططاً بيضاءَ تدخلُ من أبوابي وشبابيكي،
 تتكوّمُ على شَعْرِهِ الطويلِ فيرقدُ بين الدمِ
 والثيابِ سكراناً.
 فأدعوه عندئذٍ إلى وليمة:
 جئْ غُنْجاً وبصيصاً.

كُنْتُ أَسْتَبْطِنُ غَوْرِي مَتَمَتْمًا:
 قَمِيصٌ فِي زَمَانِي وَقَمِيصٌ لَيْسَ فِي زَمَانِي.
 فَخَرَجَ عَلَيَّ أَيْبُضٌ أَيْبُضُ:
 رَمَى عِنْدَ قَدَمَيَّ مِفْتَاحِينَ طَازَجِينَ
 مَصْنُوعَيْنِ مِنْ خَشَبٍ عَتِيقٍ.
 وَقَالَ: انْشُرْ ثِيَابَكَ عَلَى الْمَنَازِلِ الْقَرِيبَةِ.
 فَنَشَرْتُ ثِيَابِي عَلَى الْمَنَازِلِ،
 فَإِذَا كُلُّ مَنْزِلٍ قِطْعَةٌ رَمْزِيَّةٌ وَامْرَأَةٌ دَائِرِيَّةٌ
 وَكُلُّ أَفْقٍ مُوَاءٌ وَهَسَّةٌ.
 صَرَخْتُ:
 اخْرُجْ إِلَيَّ فِي الْفَجَحِ وَالْتَرَعَةِ الْمُعْتَمَةِ.
 خَرَجَ لِي خُرُوجًا جَمِيلًا:
 إِنْشَاءً وَمَخَاتَلًا كَالْجَرَحِ الْأَصِيلِ،
 يَفْتَحُ النُّوَافِذَ الْمُقْتَوَحَةَ،
 وَيَلْصِقُ فِي جِبْهَتِي وَرَقًا مَلُونًا،
 ثُمَّ يَمُرُّ بَيْنَ سَاقَيَّ كَالْكُرَاتِ الْإِسْفَنْجِيَةِ الْخَضِرَاءِ.

أدعوه إلى وليمة: هذه الكوى دالة،
فيقبل عابثاً في الطواحين،
يمرق بين ساقَي كالكرات الإسفنجية الخضراء
ماسكاً فتاة كانت
بين عباءته ولحمه الفوسفوري،
يطلقها إلى مدينة ذات جبال سبعة،
كل جبل كالجرح الأصيل،
فتضع على كل جبل جزءاً من قميص لي،
وتمرق بين ساقَي مرقاً،
وأنا أفتح لها طريقاً بين الدم وثيابي.
وعندئذ،
كنا نقعد جميعاً على سلالم الأفق ضاحكين
وأقول له: لك الوجه الذي لي.
فيقوم قيامه الجميل

لينصب إلينا مائدة:
ثاقب معماري ثقوباً.

كان صاحبي غناء:
نزلني: الولد الراقص فوق قبة الخليج.
وجاءني في الليالي مثقلاً وشفيفاً،
ألبسته ردائي وشكوت لقلبه قلبي
فرمى إلي الليل والفضاء:
الولد المزيج.
صرخت: حاء - حمى،
فرمى: حاء - حب.

قابليني في الجبال السبعة النافرة
حيث الراقدون البدو يرقدون
يطحنون أجسادهم ويذرونها مع كل ناي
وحيث البلح الغامض غامض وضخم

يترجرج بين أفخاذ البدويات البكر.
 أيتها النادمة لحالي:
 عندك النهار والليل البليغ،
 وعندك الملح الممنوع،
 والفتيرة المحرمة في بلادي.
 سأكون في القميص المنقط بالقرنفلة الزرقاء.
 أنا عرّاني البدو العراة وصرخوا في:
 دموعاً للمسافرين دموعاً للملوحة.
 صرخت: دموعاً للمسافرين.
 قالوا: هنا يتقلب الأزرق انقلاباً فانقلب،
 قالوا: هنا بلح للإثم الجميل. قضمت بلحاً
 للإثم الجميل.
 قالوا: الآن تأتيك القرنفلة الزرقاء.
 خرجت المرأة اللونية من خيمة وطيفة
 على جبلٍ وطيء،
 في بدنّها نايّ من البوص الثقيل،

وقالت: ألقاك على كل جبلٍ خلاصاً.

فكنتُ والبدو في ثيابي

أترجرج في سائلٍ يصبونه من قدورهم

مخلوطاً في البلح المعجون بالأعضاء.

أنا الجبال أمامي - وورائي الجبال.

زعق عليّ الصوتُ: انطرح انطراحاً.

وجاءت التي عندها الفطيرةُ خالعةٌ جلدها الأولاني

وأرّنتي قباباً قباباً،

فخلعتُ جلدي الأولاني وانتقيتُ تحت قبة:

يا نادها - يا.

وكان صاحبي بكاءً:

أرقدته، وكنا على صحراء، بين غصنين

ناتحين

وغنيتُ عند قدميه أغنيتين:

أغنية الحاء والباء
وأغنية: طيري يا طيارة.

جاءني يغبُّ في دموع
شاخصاً إلى الفضاء محاوراً فضاء:
قال: يا طيارة خذي الخيط وغادري المرثي
قال: تَبَّتِي جسدك في:
دو - لا - مي .

قال: نعم سنروح.
ولما انتهى من حوارهِ مع الذي ليس حسيّاً
طفق يعانق الهواءَ عناقاً عصيباً
ويلوح بقميصه الفضفاض وقد استضاء
جسمه بالغبطة والنشيج.
ولما فردتْ له العباءة صاح بفتة:
شَقَّتْ غلافها شقاً.

أشار في السهل الخفيض إلى وعلٍ عفوي بين
شجرتين ثقيلتين،
وقال مأخوذاً: دمٌ يجري على قدمين.
ففردت العباءة قائلاً:
لكل شيءٍ شجرةٌ
وشجرةُ العشق البكاء.

كان إلى نبعٍ يرشُّ بأصابعه ماءً
على أطراف الجبال العالية،
ويبخر من فمه ماءً
على الطيور التي تحطُّ بين ساقيه الفليطتين.
خلع الثوب وقال لي:
لُفني في عباةٍ:
أن أكون بين الأرحام.
ففعلتُ.

تمتَمَ للمؤنث الذي له يتمتَمُ:

شُقِّي موسيقياً.

ثم كان إلى عشبَةٍ جافةٍ من صنوبرٍ جافةٍ
قام يرسم بها في الهواءِ دوائرَ غامقةٍ غامضةٍ،
فلم أفهم.

سألتُه، قال: أنا أحاور كاتباً.

وانبطَحَ على البطحاءِ.

فلم أفهم.

قال: أنا أحفرُ على بدنِ شفيقةٍ ناري.

ثم كاللدوغِ راح يصرخ متمرّغاً:

كُلي يا شفيقةُ كبدي.

كُلي يا شفيقةُ كبدي.

وظل يردد قوله حتى ارتخى هامداً

ففردتُ عليه العباءةَ المخزونةَ،

وغنَّيتُ عند قدميه الفناء.

وكان في الإغماء يتمم:
اذبحوا لي حمامة في:
خل عينيك تدمعا.

للصحراء في الزهر الجنوبي فحة ورثة.
صرخت في نومي:
أيتها الموسيقى المكتومة اذهبي بي
حيث الجسد الذي يجرف الأشكال.
وأكملت في صحوي:
خذوني
خذوني إلى الكمين.

أيها الإنسي الدفين
هيت لك أيها الإنسي الدفين.
خضني وأخبرني: هل وراء كل صخرة إيقاع؟
كان يقبع لي في الهشيم فانتأ وفردياً.

جاءتني التي جمعتني عند: لا تلتئم.
فأعلمتها أنني سأكتب:
فحيح المدى فحّاخ
وهذه الرمال أفئدة.

قلت: اصرخي ورائي: أيها المجهول الجميل.
صرخت ورائي: أيها المجهول الجميل
يا آتياً من عشة:
فاعلن.

شددتها من ردائها وصعّت:
انظري يا شفيقة
هذه أحجار تجري إلى الفضاء
فاخرجي من الأغاني إلى المفتوح.
وقلت: ها هنا الكتبان أجسام
ونبرة.

أرقدتني في الكمين
فأمسكتها في الصلاة.
وقلت: يا شفيقة أوصيني بما شربت من
جرّة اللبن.
فقلت: اصنع على كل عرس مزمراً،
وضّع ردائي على الزهر الجنوبي.
ثم قالت: اركض مني إليّ:
فاعلاتن.
فصحت: أيها الإنسي الدفين هيت لك
في الفخاخ الجميلة.
كان حقل يجري على طرقاتها الضيقة
يجرّه حصانان ملتاثان
يطرق الأبواب التي أغلقها المساء القاتم،

طرق بابي
خرجتُ إليه خروجي
وكان ماسكاً فرشاة غريبة

قلتُ: جئتُ بالزعفرانِ وأكياسِ المرارة؟
قال: جئتُ بالفتاةِ التي ترتدي القطيفةَ السوداء.
ورسمَ بوابةً قرويةً على وجهي.
دخلتُ إلى الفسقيةِ والحرارةِ،
إلى البخارِ الذي يسلمُ أبدانَ القبيلة.

خلق فتاةً تلقائيةً لي
ألبسها خَزْراً مزركشاً بدمائي الخضراء.
ثم دَحَرَجَها إلى عتبةِ:
كلُّ الوجوهِ ابتهالةً.
فكانتُ تنبشُ على صدغي وردةً فان جوخ
الطائرة
وتربط وجهها بوجهي.

يجري على الطرقات اللينة
يجرّه حصانان ملتان.
فأيقظتني من سماءِ:

كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةٌ قِيلَ.
وَوَضَعْتَنِي فِي سَمَاءٍ:
تَسْتَلِمِينَ كَالشَّجَرَةِ.
فَصَحْتُ: انْفَتَحَتِ الْكَوَّةُ انْفِتَاحًا.

الْأَبُولُوبُ الَّتِي أَغْلَقَهَا الْمَسَاءُ الْقَاتِمُ.
مَطْلَبُهَا فِي الصَّادِ - وَكَانَتْ غَائِبَةً.
مَطْلَبُهَا فِي الْبَاءِ - وَكَانَتْ غَائِبَةً.

بَخَارُ الْفَسَاقِي يَسْلُخُ أَبْدَانَ الدَّاخِلِينَ
فَهَرُولْتُ إِلَى بَوَابَةِ الْوَجْهِ الْبَحْرِيِّ
وَدَحَرَجْتُهَا إِلَى أَرِيكَةٍ: لِي - لِي.
انْفَتَحَتْ كَوْتَانِ:
مَطْلَبُهَا فِي الدَّالِ - أَوَمَاتُ.
مَطْلَبُهَا فِي الْمِيمِ - بَدَأَتْ.
وَكَانَ الْحَقْلُ يَجْرِي عَلَى الطَّرِيقَاتِ الطَّائِعَةِ

يحفر على وجوه الأهالي غزلاناً ووردة طائفة

ويحرسني

حيث كنت أعبث تارة في تراب:

جثث على الفنارة.

وتارة في تراب:

غنائياً - غنائياً.

أقحوان - أقحوان

أقبل على الندى والأوان:

مراكب ورقية كثيرة تسيل على نهري الداخلي

تفر من بوغاز إلى بوغاز

وبين كل مركبين امرأة كانت تقول لي:

خل عينيك صوبي.

وعلى كل مركب جرار من الياسمين المطحون

وتفعيلة.

دخولها دخولي؛
 شقَّت قميصها لي، ودحرجتني إلى التلوينِ
 الرمادي، فانجرتُ سامقاً إلى التلوينِ
 الرمادي، ثم كتبتُ:
 مجروحٌ على سَجِيَّتِي مجروحٌ
 ومُفْلَقِي مفتوحٌ.
 فَأَجَرْتُ فِي شَعْرَهَا نَهراً وَسَيَّرْتُ بِهِ مَرَاقِبَ
 ورقيةً كثيرةً داخلي، ومددْتُني على شِراعٍ:
 مُنْتَهَى الجموع.
 وكانت تقول: خلَّ عَيْنِيكَ صوبي،
 فخلَّيْتُ.
 ضحكتُ على مركبٍ ورقني بي وراودتني،
 وكنتُ آتياً من ١٨ و ١٩ راقصاً وضاحكاً
 قبالة التلوين الرمادي. قالت:
 لاقتني عند الجذوع والخلاء.

فلاقيتها عند الذي قالت، ثم خاصرتها في:
يُؤدُّونَ دورَ المحبِّينَ والأنبياءِ.

انبلاجها انبلاجي:
عَوَّمَتْنِي عَلَى مَرْكَبٍ بِي فَقُلْتُ:
صِفْنِي صِفَتَيْنِ:
صِفَةً بِهَا تَرْكُضِينَ إِلَى ثُلُولِ الْمَاءِ،
وَصِفَةً أَغْفُو بِهَا عَلَى نُطْفِي الْمُقْبِلَةِ.
فوصفتني بمثل الذي قلتُ،
ثم سَرَّيْتَنِي إِلَى الْكَائِنِ الَّذِي سَأَلَنِي مَبَاغِتًا:
بِأَيِّ عَرَقٍ كُنْتَ تَرْقُصُ لَيْلَةَ الشَّهِيْقِ وَالطُّلُوعِ؟
فصَحْتُ عَائِمًا: بِيَهْكَنَةً تَحْتَ الْخَبَاءِ.
قال: جَوَانِيَّةٌ هِيَ السُّفُنُ.

آلافٌ مِنَ الْعَمَشِ الْخَفِيفَةِ تَجِيءُ.

صاح الجسدُ الذي يجرفُ الشكلَ لي؛
انثر البللورةَ انثر البللورةَ،
واخرجَ من جهةِ الجَمِيزِيِّ إلى الكمائنِ الناعمة.
للفخاخِ الجميلةِ أكتبُ:
حُطُّوا عليَّ السنبلةَ،
بدلاً من الغابةِ البطيئة.
سَمُّوا إليَّ الرذاذَ،
بدلاً من الهُطُولِ
وسَمَّني يا فضاءً.
للفخاخِ الجميلةِ سَفَرٌ يخلعني من شجري
ويرشقني على ساريةِ الجبلِ الغريب.
حيثُ العُشُّ الخفيفةُ
ومروحةُ الهواءِ
وحيثُ الصبايا يغنين لي:
مُنداحاً-
منداحاً.

انفضحت رموزي
وأفرغت خزانتي المكتوزة.
وها أنا أختفي
في:
لكم.

أبريل ١٩٧٧

التضمينات: من الشعر العربي القديم، وأغاني فيروز، وأشعار شوقي
وأدونيس وحسن ملب وعلي قنديل.

الصيف ذو الوطاء

هَنا حَبْلٌ طَوِيلٌ مَلُونٌ بِالْأَوَانِ تَطْيِبُ لِي،
وَمَمْشَاةٌ تَلْتَوِي فِي اتِّجَاهِ أُمَامِي، وَتَتَنَالُ.
تَعَالُوا يَا جَذُوعِي، قَفُوا تَحْتَ أَقْدَامِي:
أَفْسِدْتُمُونِي،
وَأَقْعَدْتُمْ عَصَافِيرِي عَنِ قُجْرِهَا الْأَصِيلِ.
أَيُّهَا الْمَفْسِدُونَ أَهْجُرُونِي
دَعُوا بَهَائِي وَخَيْبَتِي يَذْهَبَانِ بِي
إِلَى الْجَرَائِمِ الْمَبْتَكِرَةِ وَالْإِثْمِ.
سَمِّيتُمُونِي بِاسْمِكُمْ وَسَمَّيْتُكُمْ بِاسْمِي،
وَهَبْتُكُمْ شَكْلِي وَوَهَبْتُمُونِي شَكْلَكُمْ بَلِيلِ،
وَلَكِنِّي غَيْرُ لَابِثٍ فِي شَكْلٍ،
وَغَيْرُ مَنْسُوبٍ إِلَى مُسَمًّى.
أَنَا مَا خَفْتُ، أَنْتَ يَا جَذُوعِي الَّتِي تَخُونِينَ

تطمعين أن أصير تابوتاً، وأنا العشاق للمنحدرات
فلا صفاتي تدوم لي،
ولا المنازل قابضةً على جسми.
لكم كمائتي،
ولي الحال.

(اشتبكت موسيقى الجرح بموسيقى الكون،
وحط الطائر رحلته في عنقي،
استيقظ عمرٌ يمتدُّ من الصرخة للخطوات
الطفل الشيخ اختلطت في قدميه الطرقات
فابتسم،
وراح يرتب في سقطته سلسلة الآهات)

هم فاجعون.
يرقبون العطن القديم يعابث بحري
فينتشون باقتصاص الفزالات من مرعاي،
هم لا طالعون.

قال لي: الكلامُ حَقْلٌ وحَقْلانٌ وحَقولٌ
فهاكْ محراثاً وترعةً صغيرةً وأفقاً.
وَعَيْتُ بَمد احتراق نخلتي أَنْتِي لم أعجن
الحقولَ بالحقول.
هل يندم السفهاءُ؟

استيقظوا يا عيالي،
ضَبِقُوا الخِناقَ حولَ عمري وافرحوا بجهلي.
أَيُّ شَجَرٍ في الكَراريسِ ترسمون؟
أَيُّ شَجْنٍ على الوساداتِ سَكَبْتُم عندما دَقَّ الجرسُ؟
وَيَعِي من الإفصاح عما لا يبينُ لي.

(يلعب بالحرّية والياقوتَ
من ثقب الكون يفوتُ
يلعب بالملكوتَ
ويموتُ)

أنتَ ترسمني ولا تعرفُ ناري،
وقعتَ في السفائن التي أبحرتْ بالقلوبِ،
فازحف على البطن حتى تبلغَ الفاتحين،
إنني في ناظريكَ فانظرنِي لتلتئم.
عليمٌ أنتَ أن للأشجار قدرةً على الصعود
ولكنك لا تعانقُ الخلاءَ الذي مُنح
لأصابعك منذ عشرين عاماً.

لستَ جذراً،
ولستَ خَيْلاً،
ولستَ طائِرةً ورقيةً.
جتني لكي أعلمَكَ الرمايةَ في الشَّغافِ،
واسمَعِ صراخَ المدى:
قفوا في الحَلَقِ يا واقفين في الانسجام.

هم يمسكون الخريطة ويقطعون كروكياً يشبه البلاد
هل الجبل يعلم؟
وأنت ضحكة شاذة على سياقٍ مأساوي،
فاصرر ثيابك في صرة،
وعندما يتأهب الخلق للدموع
أطلق الزعقة التي شرحتها لك في مساء الويل؛
هذه المرأة
ناقصة.

(كان الطريقُ طريقَهُ
فمضى يحاول أن يرجرج كأسه في عمره
ويريقه،
ألقى يفتش في المياه عن الصبا.
كان الفريقُ
غريقةً)

هل شَرَّدَتني الفياضي؟
مرحى إذن بالخلاء السليب.
اقتسموا عند سجادتي الأغنية وشاهدوا رؤيائي:
الحريقُ في ثيابي
وسنبلةُ العشيرةِ ما تزال في عشائي.
أودعْتُكم حزناً وجهاً،
فاذهبوا الآن:
زُمرّاً
وفرادى.

وَيَ، أيها الفؤادُ خَبَّرْني:
هل هذه الطريقُ صالحةٌ للخطى المُخَفِّفَةِ كاللمسة؟
هذه الخيالاتُ التي تهجم عليّ،
البوارجُ التي تمخرُ العظام،
الولائمُ في فناء أبي،
السوداتُ الهائمةُ: كأن كلَّ هذا الطقس لي.

أمشي فألمح الدارَ المثقوبةَ بالجرحِ المسقوفةَ بالطيوب،
 وألمح الفمَ والحوثَ وكائنًا يقول لي:
 كُنْ مرةً منقذي،
 أنت من ضلعِ النجوم، والقوا في قواقع،
 فخذ عَوَرتي وامرُقْ بها أيها المشاكسُ الخَدُولُ.
 أسلمتُ عندها قمحي وقلتُ:
 فاخبزي رغيفاً للخُلصاءِ.
 إن ذلكَ الراقصَ الوحيدَ سيقصُّ
 عندما تسكنين منوالي.

(نَحْطُ مطرَحَ الكَمَانِ
 ملاءةً،

ومطرَحَ البلادِ بلدةً
 نَحْطُ في النوافذِ القميصَ فوقَه يدانُ
 وتحتَه الجموعُ يمسكون شمعدانَ
 والفتى على النسيجِ مشخَّنٌ بطعنةِ المؤدَّةِ.

تقول وردة لوردة:
نحط مطرَح الزمان
قصيدة،
ومطرَح المكان
مخدة)

هذه طيور تلعب في ركن غرفتي
يفوح من ريشها أرق حديث، وهي تغيب عني.
يا تيجاني،
يا ملبوسة غصباً.
سأعطيك محبرة لترسمي وجهي
وترسمي دمامة تفيض علي الجذب في
نصاعة الحروب.
يا تيجاني
يا مخلوعة.

الختامُ موشكٌ،
 فاعلموا أن وجودي مُعلّق على نخلةٍ ليست
 قُرْبَ جسري.
 هل فزعتِ يا صغيرة؟
 هذا البيان كاذبٌ
 إنني أخفي بكذبتَي سِرقتَي للكَلأ،
 فأجيروني
 إن هزائمي تتراكب حوالي فأحاول الغناء
 ليس يسعّف الغناء مثوأي
 لأن هذه الطيور تورث الشجون.
 وهو موغلٌ:
 يهزمني ويمضي صموتاً كملاكٍ مشغولٍ بخليقةٍ
 وأنا واقعٌ
 في أموري.

الناييةُ عن موسيقاي خطفتني من سمائي
إلى الملاة،
صنعتنا شيئاً يخصُّ البدنَ البشريَّ،
وأفلتتا هادئتين.
بذا يصير الضوءُ بيتاً خشبياً،
ويُقبل على خصاصنا سرّب.
فأهتف: أسرابَ الخَبَلِ المُفَضُّضِ لك المرحى.

(كان على قلبي
أن يتبدّد في الأرغول
وينامَ على الشطّ وحيداً
يتأملُ في سكتته
دمه المنفول)

جمعكمُ الجليلُ في داري
وأنا أقذفُ في صدوركم مساميرَ غامضة،

وَأُطْلِقُكُمْ فِي الْفِيَا فِي مَشْرِذَمِينَ.
أُنْثَايَ لِي،
وَقَدْ وَهَبْتُكُمْ قَلْقُ الْجَنَازَاتِ،
فَاقْلِقُوا تَتَكَوَّمُ فِي فَخْذِكُمْ أَرْضُهَا أَهْلُونَ.

حَنَانِيكَ يَا جُمُوحُ،
أَرَيْتَنِي مَا لَمْ تَرَ الْعَيُونُ
وَأَسْلَمْتَ رَأْسِي لِلشُّطُوطِ،
مَهْلًا عَلَى عَظْمِي يَا فَاجِرُ أَرْحَمِ،
هَنَا الشُّطُوطُ وَالشُّطَطُ.
سَأَكُونُ مَذْعَنًا وَخَارِجًا عَنِ النَّسِيجِ،
وَسَأَقَايَ سَوْفَ تَصْبِحَانِ إِبْرَتَيْنِ تَرْتَقَانِ
رَقْعَةً الْأَقَالِيمِ.

طُفُولَاتٌ مَخْبُوءَاتٌ تَحْتَ الرَّمَادِ،
مَحَارِيثُ تَحْرُثُ الْأَحْدَاقَ،

طوابيرُ،

نواقيسُ،

أزياءُ،

جَمْرَةٌ.

حنائِكَ فليكن لي رَقَمٌ في طوابير الضحايا

قبل أن أذهبَ إلى نِداها.

حانَ وقتُ الدَّقِّ على دورنا،

ووقتُ صدورِ الموسيقى عني.

وأها لدواليبِ الخلاءِ التي باعت ثيابي إلى المجهول،

وما زلتُ لا أُنقِزُ مقارعةَ القرين.

(طَعَنَ الْفَتَى نَفْسَهُ)

مُسْتَهْ عابرةُ الليالي بالمحبةِ،

أثقلتُهُ مَسَّةٌ

ورَمَتِ خُطاهِ إلى الدجى مَسَّةٌ

فاختار مصرعه النقي
يجسه في كل وقت من موافيت اليكا
جسه
خلق الفتى نفسه

هذه الدواليب قسمتني بسيف شعبي،
فقولي لمن يطرق نافذتي:
عند التلول المصرع المأمول
وفوق الشواهد الخنجر.
وقولي لأمي:
أرداه كعبه المفضوح.

لماذا ينساق قلب وراء بطينه؟
سيروا نحو الجنازات واستيقظوا يا عيالي
من شجرة الفناء.

كَأَنْتِي ظُلُّهُ، يَطَارِدُ خَطُوتِي حِلْمٌ بَطِيءٌ.
افْتَحْ لِي كَهْفَكَ الْآنَ يَا حِلْمُ
وَدُلَّنِي عَلَى مَعْنَى الرُّسُومِ الَّتِي تَرِيصْتُ بِي
فِي كُورَى الْجَدْرَانِ.
سَدَدْتَ عَلَيَّ لِؤَمِي صَيْحَةً الْغَرِيبِ،
وَمَشَّتَنِي إِلَى الْحَاقَةِ الْأَخِيرَةِ.
الْهَاجِسُ الَّذِي اعْتَرَانِي وَعَرَّانِي جَرَى بِي إِلَى السَّفُوحِ:
كَانَتْ الْمَاعِزُ تَرْكُضُ
قُلْتُ: فَلَا تَحْدُ بِمَاعِزِي
وَأَدْرَبْ جَرِيهَا عَلَى حَنَكَةِ الْقَفْزِ فَوْقَ الْمَسَافَاتِ.
أَعْلَانِي أَزْرَقُ فَتِيٍّ عَلَى الرَّمَادِ
فَاخْتَبَأْتُ فِي قَنَاعِي،
تَكَاثَرْتُ أَوْلَاداً يَضْرِبُونَ فِي الْبِيدَاءِ،
يَتَقَبَّوْنَ خَرْقَةَ السَّيِّدِ الصَّوْهَرِيِّ.

كانوا يدبُّون في سراويل بيضاء
ويشبهون متراساً في وجه صخرة مَيَّنة.
أدركتُ أن فتائي ورجائي متقاطعان.
الماعزُ اشتعلت في قراريط القمح،
فمن يُمَيِّزُ لي موقعي بين الحقول والحريق؟
جريتُ صارخاً:
يا رائينَ رؤية الغياهِبِ هل أتاكم نبأ بي؟
نحن لن نبوحَ
فالماعزُ التي في السفوحِ
محروقةٌ.

(الوردة حمالةٌ أَوْجُهَ.
لمستُ عاشقتي البحرَ بكفينِ مدرَّبتينِ
على اللمسِ الصافي،
وأنا أغرقتي مَوْجَهَ.
قلتُ لصاحبتني: ما تختارين؟

أجابت: لك صحراءُ الوردِ،
ولي مَرَجَةٌ.
الوردةُ حمالةُ أوجهُ:
فهي أجيجُ الكونِ
وغُنَجَةٌ

لحناء في البراري مجزأةً إلى بحيرات،
وكنا على البراري صفوفاً
نشعلُ الذرةَ والقولَ ونرسمُ:
كوني أيتها البراري حليلةً.
راوغوني يا خيالةَ المدى خيروا بصائري يا خلصاءُ
هنا شمسٌ ندابةٌ ومحبرةٌ ويقولُ
وبناةٌ بينون دكاكينَ قيامتي.
إن هذه المرأة لها مقامٌ بجلدي
غير أنني ما زلتُ في حُمَاي وحدي،
وفي نهر.

لماذا تدلق المرأة هذه الأسماك اللماعة

بين جلدي وبينني؟

تقولين: أنا فاتحة قوسي فادلف خلف رتاجي.

وبيني وبين جلدي خصومة دفينّة

وقوس يغني فريداً:

واهاً لأعوامي.

اندهي الشهود كي يشهدوا زاري

ويرفعوا عني غلالة.

(نبتت في بئر القلب المتقيح ورده

ماتت في بئر القلب المتقيح ورده

وأنا بين النبت وبين الموت

بقايا لحظات

منهدة)

نحن لن نبوح
فالجروح
تموح في البراري
والختم موشك أن يخرطني،
وأنا ما خفت، أنت يا جذوعي التي تخونين،
تطمعين أن أصير تابوتاً،
أنا العشاق للمتحدرات،
فلا صفاتي تدوم لي
ولا المنازل قابضة على جسمي.
الوداع يا جذوعي
أنا أخلع اللحاء عن فؤادي،
فلا تحزنوا علي إن نزعتم قمصاني بليل،
وزلت.

ديوان

فقه اللذة

(١٩٩٣)

كتبت قصائد هذا الديوان في الفترة من

«١٩٨٩» و«١٩٩٢»

إلى أمي، وبائية الحائي

أَوَّلُ

خذوا الإوزة من عُقْمي،
 هنا عصرٌ يسير عكسَ صنّاعه اليَدويين،
 على سرير توتَ عَنخَ آمونَ قلتُ:
 أنت امرأتي التي كتبها الله لي.
 جرثومةُ الرعبِ آكلةٌ،
 لكنني سأضعُ قِشْدَةً على قِشْدَةٍ،
 في بقعةٍ مجهولةٍ سنحفظُ الشرائطَ:
 حيث الباليه الذي اقترحناه على جذعَيْن،
 خذوا الإوزة من عُقْمي،
 سافاكِ دلّتا صغيرةً،
 فاذهبي إلى المطعم الشعبيّ في بساطةِ الأسرى،
 قال رجلٌ: لماذا تريدِينَ وُضْعَ السماءِ في قفصِ؟

قالت امرأة: لأن قُرْطِي طائرٌ،
سوف أكونُ في «جارة الوادي» مساءً.
تحت لسانك شَرَكٌ وفوقه القُدُوسُ والهِندباءُ،
فكيف تُقبِلينَ يدي وأنا الصيرفيُّ المختلسُ؟
أنتِ كافٌ كافه وسينُ سينه تحت معجزة،
طَمِيكَ شاسعٌ كبدي والشَّعرُ والليلكيُّ،
فوزُعي القمائنَ على المنتظرينَ خارجَ الدَّسْتِ،
أما أنا: فسوف أَمسَحُ السَّيْلَ بينَ فرعَيْكَ بِمُسَوْدَةِ النَّصِّ،
خذوا الإِوْزَةَ من عُنْقِي.

طائر الرّدادُ

رجلٌ يتلقَّعُ بكوفيَّته الزرقاء،
يصارحُ ذاته: ليس هذا القلبُ المجرَّحُ نقشاً بابلياً.
أشارت سيدةٌ يديها وعَرَّجَتْ على المعبد القديم.
كان حمورابي يقول: أنا المتورَّعُ القَلْبُ،
بينما الروحُ مخدوشةٌ ببداياتِ.

هل تذهبُ إلى سَامَرَاء؟
إنَّني أذهبُ إلى نفسي لأفحصَ ارتعاش صوتي
كلما هممتُ بالحديثِ عن يَّرم.

هذه سنواتٌ خطيرةٌ،
والقلبُ مشقوقٌ تنزُّ منه المراتُّ كالحليب.
هل تَمَّ عالمٌ غيرُ ما رأيتَ في خمسٍ وثلاثينَ رحلةً؟
بابلُ جميلةٌ، وعينا السيدةِ بابليَّتان.

سنمشي على الشطّ في المساء لو لم تُلاحقنا الحِصاراتُ،
سنرقبُ البطّ مطلقاً في ممراتِ الحديقة لو لم تُلاحقنا
الحِصاراتُ،
سأشربُ القهوةَ في المقهى البغداديّ مبدودةً إلى «البرزخ» لو
لم تُلاحقنا الحِصاراتُ،
سألبسُ الأبيضَ الحيّ وأعيدُ تصفيفَ شعري كما تفعل
الشاعراتُ لو لم تُلاحقنا الحِصاراتُ،
سنهربُ من الحصارِ لو لم تُلاحقنا الحِصاراتُ،
أيها الجميلُ خذني إلى دجلة، دجلةَ الحرّ نقيضِ الحِصارات.

تشربُ المرأةُ قهوتها والرجلُ حزينٌ
يشربُ الرجلُ قهوته والمرأةُ حزينةً.
هل أرهقتُك بالحكاياتِ عن انشراحِ عمري؟

نسي الرجلُ أن يقولَ: كلُّ شيءٍ يمكن أن يبدأ ثانيةً،
نسيَتِ المرأةُ أن تقولَ: عليّ أن أصطدمَ بميراثي،
شجرةُ الكافورِ في غرناطة صامتةٌ وفي الفضاءِ كلامٌ.

سأغَيِّرُ الستائرَ وساعةَ الحائطِ وأغلفُ الكتبَ وأجيءُ
سأعدُّلُ هندامي وأضعُ الشَّالَ على كَتِفِي بميلٍ وأجيءُ
سألتقى البرقيَّةَ الأخيرةَ بموتِ السفهاءِ وأجيءُ
سأكنسُ السُّلَمَ من بقايا السجائرِ المحروقةِ وأجيءُ
لقد انتظرتني عامين فانتظرتني دقائق قليلةً:
بقدرِ المسافةِ بين غرناطةٍ وأصابعي.

لماذا لم يُقبَلِ الرجلُ الجزءَ المصابَ من رأسِ
السيدةِ الجميلةِ؟

لماذا لم يقلَّ لها «صباحُ الحبِّ» بدلاً من «صباحُ الخير»؟ كان
الشتاءُ قارساً، والسيدةُ الجميلةُ تستشعرُ نقصاً في المكانِ،
وترى قاعةَ أبي نواس فارغةً إلا من رجلٍ لم يُقبَلِ الجزءَ
المصابَ من رأسِ السيدةِ الجميلةِ.

تُشَبُّ الغوريلا أظافرَها في جَسَدِ الرِّثَمِ،
كان المارَّةُ يمرقون مُسرعينِ،

رجلٌ وحيدٌ جلسَ وحيداً يكتبُ رسالةً إلى قاسمِ حداد،
أظاھر الغوريللا تمتدُّ من إسكندريةَ حتى القصر العيني،
مارةً قالوا: الشَّعرُ والحبُّ نعمتانِ من ترابِ نينوى،
وكنْتُ أسألُ نفسي:
كيف نمتُ هادئاً بينما الرُّئمُ ينزفُ على بوابةِ المساء؟

ورائي خمسةٌ وثلاثون عاماً من الحنين،
قرأتُ سبعَ رواياتٍ كانت بطلتُهنَّ تشبهني،
تعرَّيتُ أربعَ مراتٍ: ثلاثاً بفعلِ الاغتصابِ،
ومرةً حينما قلتُ لي: أوحشتني،
أحبُّ فيروزَ وعبدَ الوهابِ وخانَ الخليلي وبن جُلُون،
شاهدتُ فيلماً واحداً عن ساعي البريد،
وقفتُ في الغرام تسعينَ مرةً حينما سمعتُ عازفاً يقول:
«يا من يدلُّ خطوتي على طريق الضحكة البريئة
يا من يدلُّ خطوتي على طريقِ الدمعةِ البريئة»

فَهَمْتُ بِهِ لَكِنَّهُ رَاحَ فِي الْوَبَاءِ،
أَنَا مِثَالُهُ لِلْاعْتِرَافَاتِ فَهَلْ تَأْخُذْنِي بِاعْتِرَافَاتِي؟

أَعَزَفُ قِطْعَةً عَلَى النَّايِ كِي تَنَامِي فِي وَدَاعَةِ رَنِيمٍ.
أَوْقِظْكَ فِي الصَّبَاحِ بِكِتَابَيْنِ فِي النَّافِذَةِ،
أَجْعَلُ النُّجُومَ ثَابِتَةً لَكِي تَرَاقِبِيهَا «زَاهِيَةً» كَأَمِي،
أَقُولُ لِلشُّعْرَاءِ: أَقْدِمُوا.
فَيَرْمُونَ الْقِصَاصَ الْجَدِيدَةَ عِنْدَ الْكَلِيَةِ الْحَرِييَّةِ،
أَضْرِبُ الثُّغَالَ بِبِعْمَرِي كُلِّهِ، وَأَتَحْنَجُ:
أَنَا خَفِيرُ قَلْبِكَ الْمُرْهَقِ.

تَتَغَيَّرُ الْفُصُولُ فِي شَهْقَةٍ وَعِزْقَيْنِ،
هَنَا دُنْيَا تَقْلُدُ الْعَزْفَ الْمُنْفَرِدَ عَلَى الْكَمَانِ،
وَمُطَرَقَاتٍ تَتَقَمَّصُ حِكْمَةَ الْكُوفِيِّينَ،
هَلِ الزَّمَانُ خَاتَمٌ فِي إِصْبَعٍ؟

قُلْ يَتَسَلَّقُ رُؤُوسَ الْعَابِرِينَ فِي الطَّرِيقِ،
 قُلْ فِي مَطَابِعِ الْجَرَائِدِ وَمَحَطَّاتِ الْمَتَرُوشِرَكَاتِ الطَّيْرَانِ،
 قُلْ فِي شَاشَاتِ التَّلِفِزِيُونِ وَمَضَخَّةِ الْمِيَاهِ،
 قُلْ فِي عَيُونِ السَّاسَةِ وَعِلْمِ الْكَلَامِ وَمَكْتَبِ الْعَمَلِ،
 قُلْ فِي أَصُولِ التَّشْرِيعِ وَإِغْفَاءِ الْمُحَارِبِينَ،
 قُلْ فِي نِدَاءَاتِ بَائِعِ الْفُلِّ،
 قُلْ فِي صَبَاحِ الْفُلِّ.

كَيْفَ حَالُ مَيْدِي؟
 عَلَى الْأَسْلَاحِ صَوْتِي وَكَانَتْ بَغْدَادُ سَيْفًا أَدْمِيًّا،
 جَاءَنِي الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فِي نَوْمِي وَأَعْطَانِي سَعْفَةً،
 وَقَالَ: ظَلَّلِي بِهَا صَفَارَ الْيَمَامِ،
 وَجَاءَنِي وَعَلَّ أَشُورِيٌّ وَقَالَ: اسْلُخِي زَمَانًا عَنِ الْجِلْدِ،
 تَسَاءَلْتُ:
 لِمَاذَا لَمْ تَأْخُذْنِي إِلَى السَّمَاءِ كَمَا أَرَى أَخَاكَ الْعَلِيلَ؟

قلتُ: كانت حياتي بروفات مريضة
للحظة أقول فيها لسيدي: كيف حال سيدي؟

يُكمل الموسيقيون نواتهم الناقصة يوم الإثنين،
يبدأ فؤادُ زكريا كتابه الجديد يوم الإثنين،
تسافر ليسُ إلى الراهب يوم الإثنين،
يغني عدلي فخري في مسرح الغرفة يوم الإثنين،
يجتمع شعراءُ إضاءة ٧٧ يوم الإثنين،
لم يُقتل خميس والبكري وشهدي عطية وعلي فتدليل يوم
الإثنين.

انقضى دهرٌ منذ خرجتُ من كهفي،
وهذه ثلاثُ لحظات مضفوفة كالديناميت،
لماذا تضعُ امرأة ماءً لوردٍ في إناء؟
قالت امرأةٌ للمغني السياسي:
أرى وجهي نظيفاً مثل سارة.

لم يكن المغني يسوق أغنية،
كان يستخرج حصى الروح من الروح ويترك المواجه
موشكة.

عاشقتان طائرتان في فضاء غرفة،
وعازقان مضرجان في وتر من خائنة الأعين،
لم يكن المغني يسوق أغنية من الشغف المخبأ،
كان يخلط العاشقات بالعاشقين ويصنع من عجيبة كونسرتو.

هذه أنا في الثالثة،
سرير بني ومخدة مقلّمة بالقصب،
هاتان زميلتان في المعهد كانتا تستعيران مني كتب جبران،
هذا صلاح سالم يصافح أبي في افتتاح مدرسة الزيتون،
صارنت قهوئك باردة،

هاتان مدينتانِ وذاكَ ظَهري،
وذلك الذي يسيلُ على البلاطِ دمي.

امرأةٌ في معطنها الأبيضِ والشمسيةِ السوداء،
كان المطرُ خفيفاً لكنَّ شَعْرَها تَدَي،
أسودُّ على أبيضَ يمضي والشوارعُ خاليةً،
فناءُ المقهى مرشوشٌ بفعلِ اللهِ والأشجارُ مفسولةٌ،
أسودُّ على أبيضَ يمضي وقطراتٌ تسقطُ على قصيدةِ بابل،
وامرأةٌ تدلفُ:
شَعْرَها مُنْدَى وقلْبُها على أهيةِ البكاء.

كان المطارُ مزدحمًا بالمسافرين،
ولكنني كنتُ أراكَ واقفاً كشجرةِ الكازوارينا،
لماذا لم تقلْ لي: رحلةٌ موفقةٌ؟

لماذا لم أقلّ لك: اربطْ حزامَ الأمان؟
 اذهبْ من الشارع الخلفيّ فالعَسَسُ كثيرون،
 لنفترقْ هنا ودَعْ لي اختيارَ الطريقِ بعينيّ المفتوحتين،
 ليس أُمِّي مقدّساً لكنْ عينيّ خادعتان:
 كانتا تهربانِ إليك وأنتَ واقفٌ كشجرةِ الكازوارينا،
 عندما كان المطارُ مزدحماً بالمسافرين،
 وليس هناك سِوَانَا؛ وحيدَيْن.

جسدُ الفَرَّاشَةِ

غابةٌ تحنني لخطوةٍ،
وأزمةٌ تُقبّل يديّ.
أنا كنتُ أعيش حباً كاملاً لا ينقصه سوى المحبوب،
وأنا كنتُ أعيش عمراً كاملاً لا تنقصه سوى الحياة،
ضَعِ التقصّينَ فوق بعضهما يا حبيبي.

هذه ليلةٌ من حواء،
سُيولٌ من النعيم تسقطُ على رأسِ رجلٍ حزين،
هل يتحداني الفرحُ؟
سأهزمه بقولي: أنا رجلٌ يموت بِإِسْفَكِ سَيَا الحَنَانِ.

جسدٌ مشدودٌ كقوسٍ،
وفي الكونِ زَمِيَّةٌ.

هل يتعرى الناسوتُ أمام اللاهوت؟
قلتُ: بل يتعرى اللاهوتُ أمام الناسوت.
لماذا يغلبني جسدٌ نحيلٌ؟
هل لأنتي عبْدٌ؟

أنتَ بينَ مَنْزِلَتَيْنِ،
وهذه مَعْصِيَتِي بينَ يَدَيْكَ فَأَشْرِئْهَا وَتَرَنِّجْ،
أَيْتُكَ هِيَ إِثْمِي،
ومعراجُكَ حَلِمَتَانِ كَالْحِلْيَةِ الْخَضِرَاءِ.
انزِلْ قَلِيلاً عَنِ السَّمَاءِ الثَّامِنَةِ،
لكي أَقُولَ لَكَ: امشِ بِكَفِّكَ عَلَى مَكَامِنِي،
الجسدُ الدَّقِيقُ يَبْيانُو.

كنتُ أَعْلَى مِنْ أَنْ أَضْعَ أَصَابِعِي عَلَى بَطْنِكَ الْمُقَدَّسَةِ،
وَأَخَفُّ مِنْ أَنْ تَهْبِطَ عَلَيْكَ فَرَّاشَةٌ،
سامِحْنِي يَا عَجَلَ أَيْيسَ.

الْخَصْرُ قَزَحَ فَأَدْرَ هَذِهِ السَّمَاءَ قَلِيلًا إِلَى فَوْقَ،
 حَتَّى أَرَى جَمَالِي بَيْنَ طَائِرِيكَ مُدْرِكًا ذَاتَهُ.
 زَغَبَ حَوْلَ سُرَّةٍ أَمْ قَطِيفَةُ الرَّحْمَنِ؟
 أَيْنَ الشَّعْرُ الْمُبْيَضُّ عَلَى بَطْنِكَ الَّذِي تَحَدَّثْتَ عَنْهُ فِي
 «الْبَاهِثَةِ وَالْحَائِي»؟
 لَيْسَ عَلَى جِلْدِكَ غَيْرُ لَيْلَكَةٍ،
 وَلَيْسَ بَيْنَ شَفَتَيْكَ إِلَّا أَنْبِيَاءٌ يَرْضَعُونَ.

فَبِرَائِرِ الْمَدْهَشِ يَقُولُ لِي:
 لَا أَيَّامَ عِنْدِي سِوَى تِلْكَ الَّتِي صَنَعْتُهَا حَجَرَةً صَغِيرَةً.
 لَيْسَ فِيهَا غَيْرُ كِتَابٍ وَطَائِرِينَ عَلَى عُنُقِي،
 طَيْرٌ وَاكْتَبَ.

يَتَغَيَّرُ الْأَبْيَضُ لِيَصْبِحَ الْأَبْيَضُ،
 أَتَعْرِفُ أَنَّ الْأَبْيَضَ تَسْمَعُونَ خَلِيَّةً؟

وَأَنْ مِنْ أَسْمَاءٍ شَهِيقِي: الْأَبْيَضُ؟
الْأَبْيَضُ: الْأَسْرَةُ وَالْكُرَيَاتِ.

رَقِيقٌ كَحَبَّةِ الْعَنْبِ،
حَسَّاسٌ كَالْأَشْعَةِ فَوْقَ الْبِنْفَسْجِيَّةِ،
وَدَاهِقٌ كَالْأَوْرُطِيِّ،
كَيْفَ يَلْمَسُ الرِّيفِيُّونَ كَهَرَبَاءَ نَازِفَةٍ؟
نَامَا يَا أَرَنْبِيَّ عَلَى صَغِيرِي،
وَاخْذَنِي يَا جَبْرِيلُ إِلَى بَدَايَةِ.
هُوَ الْفَرَاشَةُ وَلَا ضَوْءَ لِي.

أَنَا مُلُّ الْفَتَى الشَّمَالِيِّ صَفِّ جَرَّاحِينَ،
عَرِيَانَةٌ تَتَشَدَّدُ فِي هَلَاكِهَا الْمَلَائِكِي مُوَحِيَّةٌ بِنَزِيفِ الرِّثَائِ.
لَنَا أَفَقٌ مَقْصُوصٌ عَلَى مَقَاسِ مَجْدَيْنِ صَغِيرَيْنِ.
أَرَى فَرَاشَةً تَنْزُ فَرَاشَةً،

وحولها صفارُ فراشةٍ يلدونَ صفارَ فراشةٍ،
وتحتها فراشةٌ تلتوي طالبةُ فراشةً.

وردةٌ تتفَضُّ في لمبةٍ،
تحيطها غيمةٌ من نديفِ بشريٍّ،
تنضو قميصها القطني وتعلو.
سأكون السُّليمانية التي يطوف فحيطها أرضُ المرسلين،
خذِ الفَنَجَ الذي نَعَمَّتْهُ لكِ،
خذِ البَدَنَ المَعْداني.
أزح قليلاً هذه الأفاعي البريئة عن شفتي،
وانتبه يا خليل: هذه سالومي تحت إبطي.

ضَعْ عمودَ النارِ بين برتقالتين،
ليصبحَ المشهدُ: نخلةٌ وطرحتين من بلح،
والمناخُ: بيوتُ أنثى وأنثى البيوت،

ضَعُ عَمُودَ النَّارِ بَيْنَ بَرْتَقَالَتَيْنِ:
هَلْ تَلَصَّصَ عَلَيْنَا مَرَّةً عَدْلِي رِزْقُ اللَّهِ؟

فَبَرَايِرُ الْمَدْهَشِ يَقُولُ لِي: أَنْتِ الْمُحَلَّى بِمَوْتٍ مَمْتَعٍ،
أَوْرَاقِي تَسْقَطُ يَا آدَمُ وَأَعْضَائِي فِي عِلَّيْنِ.

- كَيْفَ يَكُونُ بَدَنِي مُبَشَّرًا؟
- بِالْجَنُونِ.

كَنتُ ظَلَمَانَةً وَكُنتِ بِي رَحِيمًا،
كُلُّهُمْ عَابِرُونَ،
وَأَنْتِ الْمَقِيمُ فِي أَعْشَاشِ حَلْمَتِي يَا بَطْرِيْقُ.
هَاتِ النَّايَّ عَلَى مَائِي،
وَهَاتِ الْبَيَاضَ جَنْبَ سَاقِيَتِي،
أَنْتِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ أَغَادِرُ الدَّلَاتَا إِلَى دِلَّتَا أَعْضَائِي.

يطير في فراغ بهو،
 ليس تمسكه أنامل المغرمين،
 تُسَيِّجُه الدهشةُ الأدميةُ وتصطاده اللغةُ،
 لكنه يروِّغُ في لطائفه ثم تلتقطه الشفتانِ؛
 بين دفتي كتابٍ أو في وسادةٍ،
 فيُسَمِّي مُسْتَيٍّ: يَبْرُقَ المعنى.
 أسنانك غائرةٌ بظهري،
 وخلفك إختاتون يُمسكُ مروحةً،
 ويُسَيِّرُ الطواويرَ سَكْرَى،
 بينما خَتَمُه يتدحرجُ.

ارسمْ على سُرَّتِي وردةً وشُمَّها،
 واكتبْ على كَعْبِي نصوصاً مُسْنَدِيَّةً وتُه في انحناءاتها.
 ليست بِلَقِيْسُ اسماً من أسماءِ إشارتي،
 هنا العَرَّشُ فانظرْ:
 بين ناهضيٍّ هُدُودٍ مذبوحٍ ودماءٍ أُسْرَى،
 والنحتُ يقول: اختلطتْ أنشودةٌ بفأسٍ.

- كيف أصيرُ خالقة؟

- بالمشي على لحم الشعراء.

فَمَ فِي فَم: مستقملن في فاعلاتن،

وصديقون حول مبعوث:

ملكونهم ريق المتيمين، وموتهم شفاعَة.

أشجارٌ ملوثة،

ناسٌ بشوشون،

سُرائكُ مصنوعة من ضلوع الموحدين،

رجلٌ يرى نفسه شقيق المودة،

دمٌ يخضر كل أمسية ويرقى إلى كُرسِيه المحفوفِ بهاوية،

هذا، إذن، قفصُ الأنثى.

الصدورُ مشقوقةٌ،
كان الحسينُ يتطوَّحُ،
 وخمسةُ حروفٍ من خطابهٍ على فَرَاشَتِي الداخليَّةِ،
تجسُّني.
وأنا أصرخُ : يا أُمُّ زَيْدِي.

عُمُرٌ من النثر مضى،
وعُمُرٌ من الشَّعرِ يُقْبِلُ،
صُفُّ الهَناءِ واحدٌ وجَنبٌ واحدٌ.
وطيَّرها في فضاءِ الشرقِ حينما يتطابقُ البدنانِ،
وانسَهَا مُعلَّقةً.

- كيف يكون جسمي موسيقياً؟
- بطُفْيَانِهِ عَلَيَّ.

عيناى أعلى من ثمانينات مصر،
وشهقتى تحت ساعديك تعنى: انحرِفْ.
هذه وردة الفرعون،
هذا فرعون الوردة،
هو الليل خائف، هو النهار لئس،
أنا الطيبُ الدنيوي،
أنا الطيبة المتأمرة،
تمرقُ فُلُقْلُقُ الصبايا على لساني عُلُقَةٌ.

من لمسة يحترق الطائران،
خيوطُ قَزْ على بطنِ فتى ساحلي،
وبراءاتُ أبجدية على نَحْرِ سَيِّدَةٍ مُسَيِّدَةٍ،
دودة الكهان تاكل القلب،
وتتغلُّ تحت الأرائكِ المندأة بالريح،
الطائران توأما حدس.

يقول عن نفسه: إنه المنحول،
وأقول عنه: إنه الشَّصُّ الذي شَدَّنِي من دمي عامين،
ثم ألقاني على أحمره المَقْطَر،
واستراح بين ساعدي: يقرأ.

هما: لوتس.
سِلْكٌ ساخنٌ يَحْفُ في بطنِ الحياة،
ويتوارى كالوحي،
منحتَ الحريةَ لبدني،
منحتَ بدني للحرية،
وكَبَلْتَنِي بفضائكِ المفلوت.

صَبَّاحُهَا وَصَبَّاحِي

كلُّ دقيقةٍ بخطوةٍ نحوي،
وكلُّ خطوةٍ نحوي حَقبةٌ من صَحوةِ النَّفْسِ،
وكلُّ حَقبةٍ من صَحوةِ النفسِ:
شهادةٌ لأقدامٍ عامرةٍ مُصَعَّدَةٍ
تمشي على ذاكرتي بكبريتها،
وتُشعلُ الأَقصى.

دَقَّتْها في الصِّباحِ على بابي هَبَّةٌ لَبْدِ النَّهارِ،
وَجَدَّارةٌ لشمسٍ الحَيِّ.

هذه الجميلةُ أختي،
انظرِ إلى خَصَرِها المصبوبِ من ثَقْبِ إبرةٍ.
أنا التي رَيَّتها ولقُنتُها الصَّبَّواتِ،

حدّثها عن التروبادور والزُّنوجَة وخذّها إلى مَجَرَى العيون،
لا تنزعج إذا قَبَلْتُ يديها كل لحظة،
أو قُلْتُ لها أمامَ مجلسِ الآباء: يا نُوسَة يا ضحيّة،
هل هي وردة؟
أنا أختُ الوردَة.

كنتُ في وكالة الغوري وحيدة،
أنت الهوائيُّ وقلبي أزلَّ يُنَوِّعُ شَكْلَه اللَّيلي،
كلُّ لوحة إشارةٍ إليك تجري،
وزفرتي دُهورٌ من شهوةٍ مُصَفّاة،
وأنصافٌ تبحث عن كمائلها صائجة:
يا هوى يا فحّ، يا فحّ يا هوى.

تروح في غيبوبةٍ كلما حدّثتها عن خُطوطِ كَفِّي،
أرذُّ أنثويٍّ مَسُّ شَعَرِ صَدْرِي،
فتذكرتُ طابورَ الصِّباحِ والفرَحِ المدرسي،

كان نَبْمُها الدائريُّ في معصمي حينما قالت:
أنا لم أحزنَ كما ينبغي على إبراهيم الكرداوي.

لماذا اضطربتَ يا حبيبي؟
بائعُ الفُلِّ يسألني:
أين النحيلُ الذي كان يلتقط الأبيضَ
وهو يفضحُ سرَّ مَعْرَةٍ؟
أنت متوحشٌ،
وأنا عندك أنتشي: لي وللمؤنثات في الأرض.

كفّاي ساختان؟
هذا مريضٌ قديمٌ يعاودني كلما تكهربَ النخلُ.

أنتِ سلطانةٌ صغيرة،
وعمري كرسِيكَ المَطْعَمُ بشقائق الراغبين،
عيناك تشبهان عيني،
فاقرأَي خطاب محمد الفقيه صالح لتعرفي كم تعرّت روحي،

وكم انتظرتُ أبيضَيكِ يقوِّمانِ اختلالِ أخباري،
«ليس إرثنا مسبقاً بوصية»،
فاشرحني للنازحينَ عدلَكَ البسيطَ،
واختبئي في قميصِ أمي من الضالين.
فستقتاكِ سُلطةً.

كانه يحدثُ عنا حينما قال:
«في ظلماتنا ما من مكانٍ للجمال، المكانُ كله للجمال»
كانه رآك حينما كتبَ:
«العيونُ الجميلةُ المحروقةُ تَتَمَّمُ العطاء».
الياماتُ بنتُ عينيكَ الفاتحتينِ في الضوءِ،
نقرتُ يديكِ المصنوعتينِ لإلهامِ المعوزينِ،
ارحم الصباحَ يا حبيبي،
وقلْ لي: لماذا اختلجتُ رثاكِ في القلعة؟
«الأسوأ كان قد مضى» قبلَ أن تبكي بلحظتين.

أُمِينَةُ النِّقَاشِ قَالَتْ لِي:
أَنْتِ مَشْرِقَةُ هَذَا الْمَسَاءِ،
قُلْتُ: بَيْنَ أُعْطَا فِي سَرَّاجِ سَكَنْدَرِي،
وَأَمَامِي ثَلَاثُونَ عَاماً تَقُولُ لِي: هَيْتَ لَكَ.

أَشْتَرِي مَجَازَكَ الْخَطَافَ بِحَيَاتِكَ الْمَخْطُوفَةِ،
أَبِيعُ فَرَحَتِي الَّتِي لَقَطْتُهَا نَتَقَةً نَتَقَةً طَوَالَ
خَمْسَةِ وَثَلَاثِينَ عَاماً،
نَظِيرَ سُؤَالِكَ الطِّفْلِي:
لِمَاذَا الْكَوْنُ لَيْسَ جَمِيعاً
كَمَا رَسَمَهُ لَنَا مَدْرَسُ الْأَشْغَالِ
فِي الْمَدْرَسَةِ الْإِبْتِدَائِيَّةِ؟

أَنْتَ مَتَوْحِّشٌ،
لِمَاذَا تَغْنِي أَمَامِي «عِنْدَمَا يَأْتِي الْمَسَاءُ»؟
وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ جَسَدِي مَضْبُوطٌ عَلَى نَظَرِكَ الْعَابِرَةِ،

مديرة الدار سألتني: هل تحبين الخريف؟
أجبت: شمسٌ صريحة،
ودورةٌ دموية،
طبيعةٌ بنهر وأشجارٍ وزلزلة،
هواءٌ يشمه المستروحون،
قالت: اذهبي آمنة.

ماذا نسَمِّي كل ذلك الذي اندلع؟
ليس في قدرتي أن أبعدَ الدمَ عن يمامة؟
فانفردَ بنفسك يا رضا.
أقيسُ الحياةَ بك:
إذا عادلتك فهي حياةٌ جديرة،
أقيسُ الشعراءَ بك:
إذا كتبوا «جسدَ الفراشة» فهم خلاقون،
ما هذا المأزقُ الذي أوقعتني فيه يا سيدي؟

كيف، إذن، سأرى هَجْرَكَ جسدي مشرداً
بين يديك في صحراءِ القَرْحِ؟

أَنْتَ متوحشٌ ولكنَّ قُلَّ لي:
كيف تصلُّ امرأةً إلى خُلاصةِ النَّشْواتِ من جُملةِ اسمية؟

أَنْتَ خُمُسُ إله،
كُلُّ صباحٍ يكلمني نهْدائي: متى يَلْمَسُنَا الخَفِيفُ؟
كُلُّ مساءً يكلمني نهْدائي: متى يَرشُّفُنَا الشَّيْوعِي؟

نُسَمِّيه ذَبْحاً،
جميعهم وصفوني بما أهوى،
واحدٌ قال: أَنْتِ مطرٌ صيفي،
وواحدٌ قال: أَنْتِ زهرةُ الحنَّاءِ،
أَنْتِ وحدَكَ الذي قلتِ: أَنْتِ طائرُ الفِينِيقِ،

فَخَطَفْتَنِي مِنْ أُلْفَةِ الْوَاصِفِينَ،
يَا مُبْصِرِي: لَكَ وَحْدَكَ انْتَزَعْتُ نَفْسِي مِنْ رِمَادِي
وَحَلَقْتُ فَوْقَ جَبِينِكَ الْمَحْرُوقِ مِيعُوثةً.

لَا تَقُلْ لِي شِعْراً مِنْ أَحْمَدَ عَبْدِ الْمُعْطِيِّ حِجَازِي،
وَلَا تَحَدِّثْنِي عَنِ الْبُعْدِ الطَّبَقِيِّ فِي رِوَايَاتِ مَارْكِيْزِ،
أَعْطِنِي سَبْعَةَ صَبَاحَاتٍ أَصْحَوْ فِيهَا عَلَى وَجْهِكَ الرَّيْفِيِّ؛
وَحِذْ كِتَابِي وَسَاعَتِي وَبَيْتِي وَرِوَايَتِي
وَصَفْحَتِي فِي الْجَرِيدَةِ وَأَخْتِي نَوْسَةَ وَالْجَزَائِرِ،
أَنَا الَّتِي لَمْ يَكُنْ لَهَا قَبْلَ يَدَيْكَ بَحْرَانِ.

هَذِهِ ارْتِجَاجَاتُ النُّطْفَةِ الْأُولَى، وَذَلِكَ مِثْقَالُ الْبِدَائِيَيْنِ،
لَيْسَ الزَّمَانُ خَصْماً يَا مَهْنَدُسُ
فَنَحْنُ حَوَارِيُّوهُ الْعُزْلُ،
أَخْرَجَ مِنْ عَيْنِكَ لَتْرَانِي:
أَنَا خَمْسُ عَشْرَةَ سَنَةً مَعْدُولَةٌ.

لم يصافحك أحدٌ يا حبيبي فلا يدُ للآخرين،
كل الأيادي منسوخةٌ في يديّ وفقاً لآتون،
وأنت لم تصافحَ أحداً يا حبيبي،
لأن كفيك هنا تَسْنَدَانِ ضلوعي.
أنا المارّةُ والمَحْنُكُونُ والقَادِمُونَ من بلادهم لبلادِي،
لستُ أنطلقُ بل يُدْفَعُ بي إلى مصيري،
هل أدُلِّك على طريقةٍ تقهرُ بها صوتي؟
فقط: رُقْ.

استرخِ يا صفيُّ:
لا صباحَ ثمةَ،
ولا يَمَنِيّ ثمةَ،
ولا يَنْبَغِي ثمةَ،
ليس هناك سوى امرأةٍ تنتظرُ صِبْهَها الطُّقْسَ.
كفّاي ساختنان؟
هذه حُمَى موسميّةٌ تتنابني كلما رأيتُ الذخائرَ الفُفْلَ.

إنّني أمشي على الجنوب مَرَحاً:
أُحرقُ الأرضَ وأبلغُ الجبالَ طولاً،
قال لي صاحبي: أخشى عليك فتنةَ الجميلين،
قلتُ: هذه شرارةٌ نافيةٌ للتنوع،
فلا الفتى مسلوبٌ ولا الفتاةُ سَلَابَةٌ،
تأملِ الحريةَ فوق بنصري،
أنا خالُ الصبا وشهوةُ الأنثى أُمّرتي،
ضَاهِني بالأرضِ والجبالِ،
ولا تُخَفِّ عليّ من جنوني.

سيدةٌ صغيرةٌ،
تجلسُ وحيدةً في رُكنٍ،
تصنعُ مجدها الصغيرَ،
تصنَعُنِي.
كان اللاتينيُّ يَسْرِقُ جُمْلتي حينما صرَخَ:
أشهدُ أنّني قد عِشْتُ.

صِبْوةُ الْقُنُسِ

يتركُ وعَلْ معطفه فوق قوارير اللهجات/ ويمضي صوب ليالٍ
 جاحظةٍ وحوائطٍ/ هاتيك الدقائقُ معذبةٌ/ يرسم أشجاراً
 بالليمون وأفخاداً بقناديلٍ/ استلقتُ عاشقةً خاسرةً فوق
 شرائحها وأضاءتْ عُرلتها بالتابوتِ المشبوكِ إلى ناصيةِ
 الشهقاتِ/ أنينُك بالهاتف وهَاجٍ/ هل يلجُ إلى الدهليزِ
 الشخصانِ؟/ ينام الحمالونَ على الزئبقِ في مفترقاتِ
 المدنِ/ النصرُ يفرخُ مهزومينَ/ امرأةٌ تمشي في سَعَفِ ليليٍّ
 ترقبُ موقعها الزَّلِقَ جوارَ مصوغاتِ الأسْرِ الحاكمةِ/ تنادي
 للنادلِ كي يحملَ عنها الموتَ/ تلصصُ شرطيٌّ من نافذةٍ/
 عودُك زَنَانٌ يا سيدَ داري/ مكنونونَ/ هنا طيرٌ موسيقيٌّ
 يَضْرِبُ في دمه لكن المرأةَ ظَلَّتْ في الردهاتِ تلاحظُ حركةَ
 طبقاتِ الفقراءِ/ بهاءاتٍ/ تبكي من حُلمٍ أخذَ أخاها
 للظلماتِ وترصدُ ترتيباتِ المسكرِ في ساحةٍ جارتها المقتولةِ/

ثم تنام على إسفنجٍ يتلقَّبُ/ ويدخلها في منتصفِ الهوسِ
كلام:

«هل رششتَ جسدي بالصَّنْدِلِ ومسحته بأصابعك في الليلة
الآخيرة؟»

لا أطلبُ أكثرَ من أن تكونَ لي لأكونَ أنا لنفسي.
عدتُ من المستشفى، قرَّرَ الطبيبُ أن الورمَ ليس خطيراً.

أيلولُ يهاجمُ بنائي الأسوارِ وأفتدةَ/ جَمَرٍ/ ويخلخلُ أبوابَ
المرأةِ بحنانِ الشَّمعِ/ هنالك عُرْسٌ يأخذ شكلَ المقبرةِ
ويحترقُ/ يحقُّ لجسدي أن يستكشفَ تصفيةَ الروحِ/ أراني
منتهاكاً بالخدِّ/ اسمعْ يا خصمُ الدمدمةَ وفسِّرْ لي: / جيشٌ
من عَسَلٍ يجري تحت الأغطيةِ وجبروتٌ يتجرَّدُ من سروالِ
الجبروتِ/ أنا نُوريُّ/ خوفاً ليس الشيطانَ الآخرَ/
حادثةُ/ يرقبني حين وضعتُ حياتي في جعبةِ زوبعةٍ شقَّتْ
قَرْنَ الجوعى/ قال: الباءُ/ عصورٌ خلف الشجرةِ مجهدةُ/
تلك القطةُ تنتفض من الآبارِ المكتومة/ خطفوا السيدةَ من

العُرس النوبي/ قواميس مهجئة متجف/ المجالات الحربية
 فاسدة/ هل كنت الصيفة بين الغزلان وسورة يوسف/9/
 ناموس بشري يصحو في حقون/ تبارك طقس/ ضع صورتك
 الفوتوغرافية فوق السرة كي يكتمل المعبد/ هذان القرطان
 محوَّطان بنشاب / لا تترك بالبيت مواثيق التنظيم/ فقيه
 قال: يُسمى مسك الليل/ الحاقة/ صوت مفنية يتزلزل
 في سفح فرعوني وأصابع بأصابع/ نقط الماء السائب في
 شعر علي/ هل يلج إلى الدهليز الشخصان/9/ تمائم خلف
 الأحجار تقول: الشرق ابنُ مواجدنا الصغرى والعالم نعت
 لاثنين يصونان الإثم من الشائبة/ أنا جسد عدل/ والهاجس
 يأتيني حين يصير الأبيض في الأسود مكتملاً بقراءات تسع:

«وأعجب الأيام يومي، فإني أنزف دماً من ألام
 قلبي. وعندما يصل عمري إلى آخر زهرة،
 أرهف بجناحي إلي الإمام والخلف، وتتطاير
 النار من جناحي، وسرعان ما تسقط النار في

الحطب، فيحترق حطبي وأنا في قمة السرور،
وأصبح أنا والحطبُ جمرَةً من نارٍ، ثم تتحول
الجمرةُ بعد ذلك إلى رمادٍ، وما أن يختفي كل شيء،
حتى أخرجَ أنا القُتُنُسُ من الرمادِ.

شجرٌ/ يقرأ رجلٌ نصّاً وهو يصبُ دماءً في شَرَكٍ من حناء/
بين يديْ أنوثاتٍ يستثنيها الشعراءُ من اللغة/ السيدةُ تبخُ
غموضاً مفكوكَ المعنى فوق مقالات الصحفيين/ عَفِيّ/ شجرٌ
يدخل شجرًا/ يلجُ إلى الدهليز الشخصان/ فتاةٌ تصنع
«رائحةَ اللحظات» وتذروها فوق الجبل/ ترابٌ تحت القدمين
تقبّله الملكات/ مَحَكٌ/ يدُ صبيانٍ تبتكرُ الوطنَ من المقلاع/
أنا المتّرعُ/ شجرٌ يدخل شجرًا مسلوخاً من شجر/ هاتان
مهاتان تفلّتنا من حَسَنٍ/ تغدو القاهرةُ خضوعاً لي/ تهوي
في الحلق مبانٍ شاهقةٌ/ تنشغلُ امرأةٌ بمكانٍ أم ينشغلُ مكانٌ

بامرأة/ فوق النحر نبیذ مسكوت عنه / هزائمنا في الصبح
 تفرخ منتصرين/ مصائر/ فرحي يشبه كاوتشوكاً محترقاً
 يتصدى للآليات/ تقول ببطء: مشهد جنس الغابة كان
 مجازياً لكن الولة قديم/ تقبل في أشرطة التاريخ العربي
 وفي أوسمة الرمل/ الدهليز هو الشخصان/ خراجيون/
 فقيه قال: هي الدهشة فتواصوا بالباء/ خروجيون/ تخبئت
 فلا تبحث عن أعضائي/ الوقت على كفي وزلزلة الأمصار
 مقدمة لظهوري/ لك ثروات لا تنهبها إلا قدماك الخالدتان/
 قسنطينة طائشة عسل في سرات مذكورات/ والقلب كوته
 الأشواق إلى زندين/ هنا الأوطان بمقصلة/ وهنا اللحظات
 برائحة/ والسيدة التقطت سيدها ورمته إلى أفران الملكوت/
 وفي زمرانتها اعترفت:

«اشتقتُ لك وللقاهرة.

لم يقل لي البحرُ قصيدةً لكنه كان غطاءً لدخولك إلى
أعماقي.

أنا التي كنتُ معكَ ليلةَ فيروز. هل لأتني أجملُ امرأة؟
لا تدفعني للغربة مرةً أخرى.
صباحُ البدايات».

طيرٌ موسيقيٌّ يضربُ في دمه / لكن المرأة تتخلَّق من نطفات
مخطوفات / تبكي من حلم أخذ أخاها للظلمات / أساورُ
من ذهب / مفتاح النيل يقوم من الففوة / صنع شعرك بين
الساقين / البسطاء على باءاتٍ ينتظرون / ورجلٌ يحفر في
أرصفتِ الطرقات: أنا من ميدان التحرير أجيء.

الْبَيْكِيُّ

صدري والصدعُ فضاء إن.
 بِرَاحَاتٍ صَامِتَةٍ تَتْرَامِي تَحْتَ الْإِبْطَيْنِ،
 وَتِلْكَ فَلَا تَكُ نَوْتَيْنِ تَحْمِلُ حَمُولَتَهَا الْمُنَوَّعَةَ فِي مُوسِقَايَ،
 فَخُذْنِي إِنْ سَمِعْتَ أَنْفَاسَكَ لِلشُّطِّ،
 انْحُزْنَا لِلْمُخْضَرَّيْنِ وَفُتِحَتْ تَرَسَانَاتُ الْمَاعِزِ،
 دَخَلَتْ رَاقِلَةٌ كَوْخًا وَهِيَ مُؤَهَّلَةٌ لِلتَّشْرِيحِ:
 اسْتَلَقَتْ فَوْقَ طَنَافُسَ تَصْنَعُهَا الْأَخِيلَةُ،
 شَرَابُ شَعِيرٍ سَالَ مِنَ الْكَتْفَيْنِ،
 أَتَاهَا رَجُلٌ مِنْ نَفْسٍ فَبَكَتْ حِينَ انْفَلَقَ الْكَوْخُ عَلَى
 ظِلْمَاتِ الْكَبِشِ وَنَامَتْ فِي تَرْجِمَةٍ.
 بَاءُ الْبَلْشُونِ امْتَزَجَتْ مِنْ سَنَوَاتٍ خَمْسٍ فِي بَائِي،
 هَلْ تَلْمَحُ سَاقِيَّ تَسُوخَانَ بِيْطَاءَ فِي النَّيْهَةِ؟
 وَرَاءَكَ كَانَ رَخَامُ التَّوْحِيدِيِّينَ يَمْلِكُنِي وَيَبْدُدُ بَدَنِي فِي الْمَسْرَحِ،

وأنا ألقى رُسغي جوارَ القدمين وأفخرُ بالنار.
مُعَلِّمَتي تَقَرَّنَني بِالْجَمْرَانِيَّاتِ وتَعْتَنِي بِالْمَقْصُوصَةِ:
فَرَعِي طَلَّقَ،
وهناك عينا الأسدِ موازيتانِ لقرطِي،
لكنَّ الكادرَ أضيقُ من قفْزِ.

* * *

يريدُكَ الليليُّ/ كان هيكُلُ السدِّ العاليِ جزءاً من شفتين/
لماذا تسيِّرين كلَّ هذه الفراسخِ دون شدَّادَةِ النهدين؟ كَتَبْتُ:
هل طلبَني الليليُّ في هذه الساعةِ: الحاديةِ عشرةِ من
ضحى ٢٧ مارس ١٩٩٠ / جاءت التي تدعوني إلى قصيها
مفلوطةٌ كسَاهراتٍ/ قيظُ/ أنا لك لبوَّةُ/ نهرُك أنت أم هصيرُ
حنطة؟/ يُعيدُ الشَّعْرُ إنتاجَ المحبَّةِ وأنت تَلْقَطين باللسانِ
الليليُّ/ هذا وثأْمُ المخيَّرينَ/ انتعشَ يا فهدُ/ حينما ندخلُ
قبرَ الأغا خان تذكُّرُ شهقتي/ تحدَّثَ فتيةٌ عن التفسيراتِ في
المعسكرِ الشرقي بينما كنتُ أقرأ الجُملةَ الوحيدةَ في رسالة:
شمسُ أسوانِ خادمةُ/ سلالٍ مليئةً بالمستقبلاتِ/ جبلُ

الجرانيت انشق/ أنت مزدوج كمصر ومشدوخ كخزان/ أشار
عاشق إلى بُنياتِ المقهى فسألني نوبي: هل تزوجت جميلة؟/
سُرْتُكِ محفورةً على جدران معبدِ فيلة/ هذه غرفةُ الخمر
السنوي وهاتانِ تفاحتاك عاريتان في ظلمة تشعل الأطراف
بالصّاد/ بلحٌ يجفُّ في ظهيرة/ عشرون نسخةً أصليةً من
جسمك النحيل تحمل سقفَ المعبدِ الآيل/ والثعبانُ يسعى/
جيلٌ واحدٌ وأحلامٌ عديدةٌ/ خلف صالةِ الكهانِ قالت حبيبةٌ
لحيي: عودُك رُبَّانٌ يا صانعَ الجثمانِ/ كان رأسُ بستانِ
الاشتراكيين يثمر تينةً مضروبةً حينما كنتُ أرقبُ عابرةً
تقول لعابر: أنا كلبتُكَ المسقيةُ/ يا كرنكي ما زال العالمُ ملكاً
لغمزتين/ وإيزيسُ أحلى أسمائي/ خذِ القمحَ إلى المعوقين
وأعطني سنبلهً أغطي بها فرّجي.

* * *

سَنُطُّ فوق الخصرِ ومثدنةً بمساواةٍ جفوني،
للمختاراتِ المختارونَ وهذانِ التهذانِ يقودانِ الأبرارَ إلى
قادش،

كيف سأفلتُ من زندي؟

الساعة سوطٌ والهكسوسيون يشجّون الجسر،
 فمن سأسلمه الأسرار المخزونة تحت الكتان المخطوط؟
 أنا الاثنان من الواحد لكن المنتزهات محاصرة بالبرقات.
 استندوا فوق أواني وخذعوني بالراية،
 باتوا منتعشين فحررت الياقوت من الياقوت وبيئت القلعة،
 قدماي على صخر وطمأنينات زائفة في الحلق،
 انظر للظل يقسم وجهي والمذياغ بيت السقطة،
 كيف سأخطو من مملكتي للملكوت؟
 المرأة تفشي معصمها المنقوع بروح الخل وتهض بين الثكنات
 مكلفة بكتاب الموتى،
 والمختارة ماشية بوظائف أعضاء رعاياها المختارين،
 فكيف سأصعد من رهبوتي للراهب؟
 أشهد ضباطاً منتشرين على الأعناق يصدون البيت عن
 البيت،
 وفي آخر قنطرة تسقط سيدة فوق المفصل،
 ويغر التركيب المتقن بخرابات متقنة.

* * *

يحمل الطمّي حلمَ المتعبين/ قُرب الصوامع قالت: ريقه
الصباحي لي/ عثرتُ العمر غَلابةً / هذا قميصُ أختي
الصغيرةِ وذاك الذي تحت حاجبيكَ ضَنَا المغادرين/ كيف
أجبتُ على سؤال النوبي؟/ خَلَّ الوردَةُ سرّية/ أنا أنا أنا/
ليس على لحيّ ملابسٍ داخليةٍ/ مصرُ التي في خاطري/
صديقاتي يقلن لي: اشترى الليليّ بالفضائح المقدّسات/
سوف ترقصين في استقبال الرفاق الخارجين من طُرة/
أنت أنت أنت/ علماء وعمال/ أناديكَ وهذا يكفي لأن أموت/
غرغرينةٌ تأكل البلاد/ فُضّ/ ليس على القتلى حَرَجُ/ هل
الشهوةُ تعني المبايعة؟/ أنا المسوقةُ إلى الليليّ/ أَنْتَرُكُهُمْ
يفصبون العروبة؟/ أغدو بحريتي على عتباته/ مجدّ الأبوةِ
والسوّددا/ له جنائزي والإراداتُ والزورقُ/ فليسوا بغير صليلٍ
السيوف/ سُلْطَانُهُ سُلْطَانِي وتمسّاحُهُ على البوابات/ يجيبون
صوتاً لنا أو صدى/ اقرأ المحفورَ على نُصبِ الصداقةِ مستجد
الحرفين من البائيةِ والحائيّ شاهقين/ مملوءةٌ أنا بصَبْوَةِ
القُقْنُسِ امتلاء الأثرياء/ انظر إلى الجميلاتِ واطلبي/ أهلاً
بالمعارك/ صرّت تدخلني

كأنك تموت بعد فجة/ أسطورتان/ وصرت أنفرد على بطني
 كأني فكرة مقوسة/ أنا المتى والموتى وحيدون/ الغرغرينة
 التي تمشو في عروقي تجهز القربان/ فلنخبئ الوثيقة عن
 عيون العاطلين/ بالأحضان يا مزارع/ هذه هي البحيرة التي
 تمنتها الطفولات/ يأتيني الهوى الذي ارتقبته ثلاثين عاماً
 وثمانية/ عدى النهار/ قابلت سيدة تقول لسيد: لماذا أبلغت
 عن ثلاثين شهيداً ثم صبيت في جوفك الكونياك باكياً؟/
 يريدك الليلكي/ لنا عند محمد شاين/ راح فجر يؤذن في
 الناس حينما كنت أؤذن في فدة/ جيل واحد وأحلام عديدة/
 سوف أقرأ لك «طائر الرذاذ» ونحن مخلوطان في علقة/
 تماثيل رخامية وأوبرا على ترعات نجعي/ أيقطي الليلكي
 بإصبع القدم واستريحي ساعة من خيانات الأحبة/ يبرق/
 نذاك ما زال في حلقي ولسنا أصحاب مشامة.

* * *

مُبْتَلٌ هَذَا السِّمَا فَوْزُ بَزِيَّتِ اللَّقْطَاءِ،
وَكَانَ مِثْلُكَ فَخَذِيَّ كَلِيمَ اللُّوْتِسِ وَالشَّفَتَانِ مَشَقَّتَيْنِ بِأَمْلَاحِ
الْفُرْقَاءِ،
النَّظَارَةُ غَامِقَةٌ فِيمَا وَهَجَ الْمَرْمَرِ أَسَى يَخْمَشُ ظَنِّي بِالرَّغْبَاتِ،
أَنَا آتِيَةٌ مِنْ ذَاهِبَةٍ وَالسَّفَاحُونَ سَوَاسِيَةٌ،
فَطَفَّتْ حَلَمَاتٌ فَوْقَ مَسَارَاتِ اللَّقْلُقِ مَسْتَيْقِظَةٌ،
قَارِبَتِ الْبَطْلَةَ كَتَمِي فَظَلَّ التَّابِلُ مَرشُوشًا بَيْنَ الرُّكْبَةِ
وَالْحَوْضِ،
أَنَا الْمَلْتَهَمَةُ لَكِنَّ صَدْرِي وَالصَّدْعَ فُضَاءً انْ مِضَاءً انْ،
لِمَاذَا تَرْمَقُ حُمُصَةً غَائِصَةً فِي صَحْنٍ مَجْلُوفٍ؟
أَنْتِ مَهْدَدَةٌ بِالْكَاتِدِرَائِيَّاتِ مِنَ الْخَلْفِ وَبِالزَّعْمَاءِ مِنَ
الْوَاجِهَةِ،
فَمَنْ يَتَكَيَّ عَلَى الصَّلِّ سِوَايَ وَيَسْتَخْرِجُ كَوْتَرَةً دَائِرَةً مِنْ حِلْمٍ
أَجْرَهُ الْفَصْحَاءُ لِمَرْحَلَةٍ؟

هائي تنفصلُ الليلة عن هاءات النحويين وتتحدُ بهاءاتِ
المحو،

فخذني للشطِّ إذا سمحتُ أنفاسُكَ يا نوتي وساومني:
قائمةُ تحاريقِ الوادي منك ونسرُ الشرفةِ مني،
العسسُ غراميون وصاحبتي تعرف سري،
هل كنتِ محرَّمةً في الطُرقاتِ ومعلنةً في الملجأ؟
تنفجرُ عروشُ الصيفِ مطيِّبةً بلُعبِ الفلاحين،
فماذا حَجَبَ عن الكادر سائقُ قاطرةِ الثورة؟
أوصي أَخَتَكَ بي ودعيها تكشفُ للحرسِ السابقِ أن المختارةَ
للمختارِ

وفي الأرضِ مصائرُ طارئة.

قدِّك في النامتنكاه جميل،

هل كان جواسيسُ السلطةِ مُدْرعينَ برأسِ الغليون؟

اطلَع: تَضَرَّبُ رِيحٌ رَاغِبَةً جَلْبَابِي،
يَلْتَصِقُ الْقَطَنُ بِحُمُصَتِي فَأُلْحِكُ عَلَى الْأَسْلَاحِ تَرَشُّحُ
نَفْسِكَ لِلطَّيْرَانِ،
فَأَيْنَ سَتَكْتُبُ أَنْ الْمَرَأَةَ وَالنَهْرَ بَغِيرَ الشُّعْرَاءِ
شَهَادَةُ زَوْرٍ فَوْقَ الْعَجَلَاتِ الطَّائِشَةِ؟
أَنَا ذَاهِبَةٌ مِنْ آتِيَةٍ،
وَالْمَرْكَبُ مَثْقَلَةٌ بِطُحِينَ مَشْمُومٍ.

مايو - أغسطس ١٩٩٠

ارْحَمْ يَدِي يَا نَصْفُ

حلم

الزخرفُ المحفوفُ بالأذنينِ محتقِنٌ بأوجاعٍ مُتَقَّةٍ،
خذي ميراثَ أمي:
شالَ فرحتها، خوانَ الدارَ، إبريقَ الليالي.
كان مخبأنا الصغيرُ مؤرَّخاً للطمثِ يمنحكِ المناطقَ،
هل تركتِ قميصكِ الصيفيَّ مبتلاً
كما غمزتِ أغانيَ المنشداتِ بعُرسِ أخوتي؟
والسماءُ تقمَّصتِ ذاتينِ،
هذا الأسودُ البشريُّ منفرداً على ورقِ المعاهدِ،
والخضارُ مُركَّزٌ في ميمه،
تغفو السجايا في المسافة بين حصتها وثأري.
بينما تستيقظُ الأهواءُ،

طَيِّبَةٌ جَرَّاحَاتُ التَّحِيَةِ طَيِّبٌ صَفْوُ الْمَوَاقِعِ،
 طُفَّ بِهَا يَا زُورِقَ الرَّاءِ،
 انْخَرَطْنَا وَالْكَلامُ مَضْمُنٌ فِي فَجْوَةٍ:
 لَمْ يَفْتَرَعْنِي غَيْرُ أَزْرَقٍ،
 لَمْ تَسَاوَمْنِي عَلَى رُوحِي سِوَى نُونٍ،
 وَنَوْمُ الْمَرْهَقَاتِ مُطْعَمٌ بِالْعَفْوِ:
 حُلْمٌ / حَلْمَةٌ.

فهرس

تقفُ البداياتُ قُربَ سفائنِ الشحنِ المُرَامِ،
أتى الصدامُ المرتجى يا بنتُ،
دسْتُ رأسها جنبَ الحقائقِ وهي تغلبُ فكرةً
رَفَّتْ على شَفَةِ المؤرخِ،
كان رأسُ المالِ متسقاً مع العُنُقِ المنزَّلِ،
صار جمرُ الكاشفاتِ خبيثهن محرّكاً للمُورياتِ
وجلدُ بنتي مرهفاً بالكهرمانِ،
أنا وأنتِ مؤيدانِ بهجنةٍ من صنْعِ بابِ النصرِ،
تقرأ سيداتُ فهرسِ الموتِ:
المودةُ مُدِيَّةٌ،
سمانةُ السَّاقِ العُلُو،
لسانُ عاشقةِ فُصوصٍ.

عندنا باتَ المصبُّ مَفْخُخاً بالمضارعاتِ،
وبيتُ أُمي مائلاً بالمُشْتَرِينَ المنحلَّ الخلفيَّ،
يمشي نحو معرفةِ الودائعِ طائِعاً مثلَ المكلفِ بالجلَاءِ،
هنا الدساتيرُ التي ما مسحها أرقُّ الرغائبِ يا نجيَّ
فهايكِ مملكة:

عليك عقيدةُ السينيةِ، الجسدُ الطليعةُ، عزلةُ
الملكاتِ، مرامارُ، أقداحُ البهائيين، ظلُّ كبائنِ
التجارِ، وجدُّ اللائمينَ على الهوى، جدُّ الطليعةِ،
يختُ قاروقُ المغادرِ، عُرِّي عابدةُ محررةُ،
مسألةُ الحداثةِ، قتلُ ديكِ الجنِّ، معجزةُ
النهوضِ من الرمادِ. شهيةُ المتورِّينَ، الأمُّ.
يسمى في مناكبها الوصالُ المرتجى يا بنتُ، قولي:
ليس هذا الماسُّ سيفراً، ثم قولي:
ليت أُمي راقبتُ ميزانَ سكرها المطففِ في الدماءِ
ولم تُضَيَّ.

نافذة

ذا مستطيل،
مستوى من لائعات الهلاكِ الدنيوي،
شرائحُ البلوطِ صُفَّتْ خادعات:
تفضحُ الأبدانَ أفقياً،
وهذا الشنكلُ انحكمتْ مغالقه فلاحَتْ نارُنا الوسطى
وهبَّ العسكريون،
ارتضى الحرَّان مكرمة الدجى،
لكنْ أنفاسَ المساجدةِ انثنتْ نحو الصحارى
فاستنارت مشارداً،
ذي طلاءاتٍ تساقطُ بالحروفِ الأبجدية،
هل رطوبةٌ فحَّتْين؟

نوافذُ الأحياءِ موصدةٌ،
وليلُ الغابرينَ معلقٌ فوقِ المشابكِ،
غيرَ أنَ الثغرةَ الصُغرى هنا في القلبِ:
تجعلُ طينةَ الشُّباكِ أشرعةً
وبصماتِ الأماسي جُرسةً.
يصفون زجاجَ ظَلٍّ يخدمنا ككلبٍ:
يأخذُ العتمةَ من فمنا ويعطينا الذبائحَ،
شرخه يُلقي على الردفِ الأشعةَ
ثم يحشدُ في الخَفَاءِ أراذلَ الحي،
المقايضُ دافئاتٌ عكسَ ما يحكي جَمالُ،
وتلتوي مطواعةً
فتصيرُ أنثى مثلَ أهرامٍ وتنفكُ الحراساتُ،

التقت أشجارنا بالرجم فارتفعي على الصندوق شاهدة:
 هنالك نارنا السفلى مُغذاةً بأكباد النوارس،
 خطوةً ويصير نحرٌ لصقَ جثته،
 فماذا أدهش الروح؟
 اتقنا والصفائرُ مثقلاتٌ بالنتائج،
 هل رقابُ المبدعين رهينة؟
 تدنو إلى أحداقنا الكُواتُ عادلة:
 تهربُ للخلاءاتِ القريبةِ نارنا العليا،
 وتنبهضُ انقباضَ الساترين،
 نوافذي مفتوحةً
 وعلى ملامح وجهٍ محبوبٍ ابتسامةُ امرأةٍ شبعانةٍ.

الفراغ

أُكَلِّتُ شَطَايَا مِنْ يَدَيْكَ،
الْوَرْدَةُ انْسَلَخَتْ عَنْ الْوَجْهِ الْمُحِيرِ وَارْتَمَتْ فِي الْإِبْيَاضِ،
يَسَارُكَ الْقَرْحُ الْمَتَوِّجُ بِالْصَّدَى وَيَمِينُكَ الشَّبَحُ الْجَنَائِي،
اَكْتَفَتْ مَسْتَوْحِشَاتٍ بِالْفَنُونِ،
وَزَلَّتْ امْرَأَةٌ مَنَاورَةً تَقَاوِمُ فَهْرَهَا الصِّيَادَ،
يَا ذَاتِي: فَوْقَ الرَّأْسِ أَنْسَاقٌ مَفْكُكَةٌ وَمَسٌّ مِنْ حَنِينِ،
كَانَتْ الْأَعْصَابُ عَارِيَةً وَأَشْجَارِي تَفُوحُ عَلَى الشَّوَاطِئِ،
لَيْسَ فِي حَالِي سِوَى التَّابُوتِ لَكِنْ شَهَقْتِي عَدُوٌّ
وَهَذِي الدَّارُ بِاسْمِي،
كَيْفَ يَتَسَّعُ الْفَرَاغُ وَفِيهِ أَحْصَنَةُ الْمَرَايِينِ؟
اخْتَطَفْنِي مَنْ تَمَكَّنَ دُودَةً بِالْكُلَيْتَيْنِ،

أنا المدورُ والقبابُ تغبَّتْ أنصافُها مني
وأنصافُ تراءتْ لامتحانِ الساهرينَ،
أرحمَ يدي يا نصفُ،
ليس الماءُ خائقنا ولكن الرمالَ تهيأتْ في شكلِ
أوراكِ العذارى مثلاً أفتى القديمُ.
تبدلتْ قصصُ،
دجى الميناء مضطربٌ بتفريقِ الطبائعِ من خصائصها،
صنعنا سُلماً للنفسِ لكنَّ المغنينَ استداروا للقواقعِ،
هل نقيضُ للبواخرِ خدكُ الريفي؟
أمي جهزتْ عسلاً وخبزاً للفقيرِ وأطلقتني:
نمَّ على النهدي الذي أيقظته،
وأشرحْ هُداكَ بلفتة.

بُراق

الجسمُ مشغولٌ بتكليفِ الوقائعِ للشفاء،
الأفقُ خطٌّ،
والتقاءُ الماءِ بالرملِ المرطَّبِ بالخطى خطٌّ،
وجسمُ السيدِ الوالي بديلٌ للخطوطِ،
ذراعُ سيدةٍ توارى في الزوايا فاشتكى الشعراءُ،
يسقي سيدونَ حدائقِ الليمونِ والدنيا هباءً،
شعرُها المجزوزُ يفصحُ عن مهادنةٍ،
أتصفى للحفيفِ من احتكاكِ العائنين؟
قماشٌ مقعدنا طريٌّ
فانتبه للثوبِ فوق منابحِ الذكرى،
أضاعتْ جلطةُ المخِّ المباغثةُ النكايا عند أُمي

فاستحمت في نشيد عائلي،
 شبلت كفي واندھشت لحزن الصهر،
 قالت: نادها بالباء وارحمها إذا ارتجفت ملامح مرة،
 لست أصابع عازفين الجفن وانقلت البراق،
 الماء في الحجرات يا أهل،
 الوداد مبيت فوق الوسائد والوسائد غارقات في العقار،
 على البطون الماء يا أهل، انظروا:
 هذي البضائع آتيات:
 قلّد الرأس صقر الختم،
 واندفعت ضرائب،
 رتب الفني مسألة العفونة،

واستطابَ مهندسونَ.
وفي الشقوقِ الماءُ،
تسألني المريدة: يا فتى أين المقايضةُ:
الشرائعُ منك والحناءُ مني؟
سيداتٌ عائداتٌ للموزعِ،
بينما الآنثى التي ترتدُّ للموجاتِ تخلعُ عند مريوطِ
الحِصْبِ المختومِ مِنْ وهمِ النبوةِ،
خلفها الوكلاءُ يبتسمونَ،
تأتيني بلا عُكازتينِ وتحت سُرَّتِها البَيَّانِ.

غزالٌ تحت طاعةٍ.

١ - نستطيع

تيه من الرُمان مقطوع،
وأوسمة معلقة على الخشبات بالغيم،
التفلق ميسم للخطو،
فوق الأكرمين تعفرت بالظل،
والتفتت تقاوم حلمها بحياتها،
وعلى المغازل بقعة.

* * *

لا توقظ الليلكي تحت جفوني / هذه مراود المفعمات /
نستطيع أن نستعيد عاشقاً جاء من جمصة من أجل موعد لم
يُضرب / لست طائر الفينيقي / أعتذر عن حماقتي في الهاتف
منذ أعوام / اسمع الأغنية التي سأنشدها عليك وأنت في
مائي:

«أنا كنت عبدك في عز ضعفك / وكنت يوم التجلي سيدك» /
استقم فأنت المفوض.

٢ - المواقيت مخلوقة

قطار الإسكندرية فظ،
والراجلون يلقطون الحصى من بطن المحطات،
ويفركون البحر في جعبة.
كانت سمكة ملونة تنام تحت إبطي،
أيقظتها بمقطعين من «ليت للبراق عيناً»،
ففردت زعانفها على أطرافى وملكت صحائفى،
ظلت خياشيمها تشم يودى في خضوع المردين،
قالت: صف غزالاً تحت طاغية،
قلت: ررحي محلاة بالنقش فوق النحاس،
وهذه جموع في صلاة الاستسقاء.
كانت سمكة ملونة تطير بين الفاظي،
وتسخن في المحطات لتكتب أقصوصة.

* * *

أنا في رذاذٍ يدلُّ الفتى أن ينامَ بمكمنه مائلاً
 مثل ذئب الجنوب،
 يفرُّ كَمَيْمَنَةٍ شَقَّهَا السيفُ في كَرَّةٍ:
 فلماذا الزمانُ المرجى عَصِيٌّ؟
 تُصَبُّ الأباريقُ نشوانةً فوق جذعي،
 فكيف سيمكن للسيد المتأله أن يتخفَّفَ من موته؟
 في الرذاذِ المواقيتُ مخلوفةٌ،
 ويداي محضرتان لإعطاءِ هذا البهاءِ خواتمه الساحليةَ
 حتى يوافقَ معنى الشريعة،
 ماذا جرى للطبيعةِ يا خضرُ:
 أَمِنَةٌ مثلُ جُمُيزَةٍ؟

٣- فقه اللذة

=

من يُسقطُ العرشَ الذي عليه استويتُ؟
أنا التي أحتالُ على الحياة بالكَرْفَسِ والشِّيفون،
في ذكرى صلاح حسين راثتُك تملأ الأجران،
المُلكُ لك يا صاحبَ المُلك،
الرفاقُ أرسلوا لي باقةً من أبي زعبل،
أنا مُ والليلكي في فمي: قَدَري واختياري،
كيف انضمتُ إلى لجنة الحريات وأنا في بهوك أمة؟
ما من عضو في جسدي ليس عضو الإله كما قال الأقدمون،
تكتبني الطواسينُ:
«فيه تيه في تيه وآية في آية».
فاخرج من صوامعي إلى المناقير،
لست التي قلت: ليتك تحلو والحياة مريرة،
لكنني سأسوقُ إلى دارك بهائمي.

* * *

- لماذا لا ينفضُ الخُبْأُ؟
- الشهوةُ في الشُّكْلِ.
- الفَقْدُ والخديعةُ هل مرّا على العُبدان؟
- تحتنا لغةُ الصُّوقِ بالفؤادِ من خلأطِ.
- أين غادرتُني؟
- في رملٍ: حبيبي من الريف جاء.
- ضع شفرةً على عِرْقِ فإنْسي على شَفَا.
- لَبَنُكَ في افتتاحِ «شَجَرَيْنِ» أبقى.

* * *

حِرْزٌ يَمْلِكُ للجسدِ المشرقيّ المشيئة،
 هذي الصهاريجُ جارحةٌ،
 والمفاتيحُ مغسولةٌ في هويسِ المنّايا،
 مُباركةٌ في دمِ الصائدينِ الفخاخُ،
 ارقبها هنالك قُلباً كالواجيد،
 تمضي إلى الذبحِ فرديّةً مثل منعطفٍ؛
 قُرْبَ أُمِّ الخُلُولِ الخُطى،
 والنُحاةُ يقومون من سقطةٍ يَسْطُرون؛
 مداخِلُها الزئبقيةُ خَسٌّ.

٤ - محتمل

نسْتُ دنيويةً وأنتَ الخلاسيُّ/ كان ما بيننا مُضمرًا في لهاثِ
الطفل إلى چيفارا/ وأنا التي رأيتُكَ في «أولىَ بهذا القلب أن
يخفقا»/ صرّت في يدي وأنا مع جرحي الانتفاضات/ كيف
قابلتني عند «لم يعدْ في لؤلؤ الأعماقِ محتملِ سوى نصر
الهزيمة»؟/ ما زال مصباحُ يقاوم الفيروسَ/ قرأتُ بالأمس
«إنني أمشي على الجنوبِ مَرحاً»/ هل لا تزال فوق بنصرِكَ
الحريةُ؟/ ساعدني لكي أعودَ بكِ إلى يناير ٨٩/ مسامُ
جلدي مفتوحةٌ وروحي تعيلُ بين رُكبتَي/ كُن وقَدِّمِ النُّونَ/
أملكُ جهزتُ لي في منامي ثريدةً.

المراعي هبةً. ما اسمُ المهابة؟ اسمي: أناشُ،
 صوتي غايةٌ للوسائطِ بينما مقعدي أبدٌ، واسمي: أناشُ،
 توشك الثقافاتُ على السقوطِ، واسمي: أناشُ،
 من فضّل الأصابع أنها نَمَت في الريح، واسمي: أناشُ،
 أشربُ وأصُبُّ، واسمي: أناشُ،
 أدرسُ في الضحى والليل علومَ تخليدِ الجسدِ، واسمي: أناشُ،
 أنا صنّاعةُ الهنكِ، واسمي: أناشُ،
 ها هنا طغاةٌ في طغاةٍ، وموتٌ يُعاشُ.

٥ - ذاكِرة

انسَ هاملت وانسَ عمرو،
من منا لم يَطْعَنَ كفَّ يده؟
العوالمُ أَسْمَنَتْ والبيوتُ دُمَيَّةٌ،
رائحةُ الذَّكْرِ أَقْصَى من الأنفِ،
فدع لي سلامَ البازلت كما شاءَ مَشَاءٌ،
لا صفاهسُ ولا مشتولُ أهلي.

٦ - الرأس إلى تحت

وَتَرَّ مِنَ السَّنَوَاتِ مَهْتُوكٌ،
وعند مفاصلي رجلٍ يقاتلُ نفسه،
سمّى الجبابةَ وهَجِهَ والنحلَ عائلةً،
به انتخبَت مصائرُها المصائرُ واستطلال مروجونَ،
هنا الحياةُ تصفَّرتْ في عَيْنِ شمسٍ،
شرقها سُفْنٌ وِبحَّارونَ.
لكن الجنوبَ: النارُ مسألةَ مركبةٍ،
وبين اسمين كانَ العابرونَ.

ظُهِرِكَ ثَابِتٌ وَصَوْتُكَ مَرَحْمَتِي / هذه إجابتي على سؤال
 محمود أمين العالم: أنت حاءٌ حواء / أريد أن أشمك وأنت
 تخبزينَ كمكة / كيف يستيقظُ الأفتانُ والروح غافية؟ / أنا
 الذي وقفتُ أسفلَ التجمعِ ذاتِ ثلاثاء / هل تذكرينَ الشهقةَ
 التي تواكبتُ مع كارمينا بورانا / حافظي على أذنيكِ
 حسَّاسَتَيْنِ حتَّى أعودَ من طرابلس الغرب / أنت أنثاي وأنا
 الأحذبُ الذي يغفو في المسافة بين سُرَّتِكَ ووردتكِ التركية /
 الشاطبي أضيقُ من أصابعِ الرِّجلينِ / أنت حاءٌ حِر / وعليكِ
 تثبيتُ الفُحَّاتِ في عَدْسَةٍ.

٧ - نَقْلَةُ قَدَمٍ

لماذا تتراءينَ لي في كلِّ نَقْلَةٍ قَدَمٍ؟
الشَّصُّ مَواجَهٌ لِحَلْقومي وَعَليكَ رومانِيٌّ يَمُوءُ،
هل لَأَنكَ البِطريقُ المَعذَّبُ؟
تَوجَّهي لِلذَّوَابَاتِ حَيْثُ الأوطانُ مَوفُورَةٌ،
وَحِينَما أَمضي إلى نِهاياتِ موسِيقايِ المَلَكِيَّةِ،
سَتَكُونُ هَناكَ ضارِبَةٌ دَفٌّ وَحيدَةٌ مَعلَقَةٌ في مَحراثِها اللَّيليِّ،
تَضحِكُ في هَشيْمٍ وتَتزَفُّ في صَلفِ الغُزاةِ،
صَرَعى الزلازلُ غائِبُونَ في الفُرفِ،
وِفي مِثلِكَ ثَأرٌ عَشْتِروتِ.
أَنتِ ضارِبَةُ الدَفِّ،
وأَنا المَلثَمُ الَّذي يَراكَ في كُلِّ نَقْلَةٍ قَدَمٍ.

المستوصف

أنا في حاجة إلى أن تكون في حاجة إليّ
 متى اتخذ قرارى بسقاية النجارين؟
 مخرج بونا برت قال: مغبولة،
 أنت محروم من الحرمان فتمنني لكي أظل قصية،
 ضع الأصابع على توتتين حتى يملأ الليلكي ميدان المأظة،
 ثم اطيخ القسوة في قدوري،
 قلت لك: اتخذ ركنا لكي أقصّ مسرى الجنين،
 فلماذا تكاثر الحقوقيون في بلادي؟
 كنت مبتلة حينما دق بابي سمندل،
 ونيلي ليس لعجول الصحراء كما قال فرعون الحجازيين،
 أريدك لك لا لي لي لا لك لي لك لي،
 هنا المملأ مرتاحون وعضلات وركي مرهقة،

قصفوا الشارع الذي قلت فيه: أحب المزارع،
قهوة بغداد امرأة،

والمراسل يقول: كل شيء طبيعي بمصر،
سأكتبم الفرائين تحت ثوبي لأن الفواتير طائفة ودمك الودع،
فمتى أضرب عن الشحن والتفريغ عمال؟
مصر عادت شمسك الذهب،

أفقد كوبري قصر النيل وجامعة عين شمس
فلا تكف عن كتابة لحمي،

أنا واقفة تحت نفسي لا أنتظر غير الوزن والفعل المضارع،
«رائحة اللحظات» مقسومة على أربعين،
وأنا أضبط الحياة متلبسة بشمعداني،
نصف إكليل البدن تم في أوبرا،
هل فقدنا الطفل؟

في اندلاع كمون وفيك جعل قمح
وفوقنا صلاة أحباش مسومين.
أريدك لك لي لا لك لي لي لك لا لي،
أربعاء شاذ،

ومارسُ مُدَلَّى من سِدْرَةِ المنتهى،
 موقعةُ المطبخ لا تزال على الجلد .
 فائِرةٌ بالحدائث والتقوس:
 أرانبٌ خضراءُ تأكل الرسفين،
 ونمارقُ مصفوفةٌ على خصر المنوفى،
 أنقذني الغاز والمبرّد،
 وكنتُ بينهما قصاصَ الحافظين فروجهم والحافظات.

٢
=

نافذتان تطلان على المخبر ومحاجر أسمنت/ سيدةُ الظل
 مسيجةٌ بالظل/ بهارات/ فوق الدّرج المصبّاحُ ضنينٌ لكنّ
 اللّمة نيرةٌ/ عنقي حمأً مسنونٌ وقُراي انداحت في الغرين/
 كم سرباً فوق جبيني؟/ شَبَحان على الحائط وأظافرُ في
 آجر الشرفة/ هل بَنَجِي كُلِّي؟/ كنتُ معلقةٌ بمفاتيح القدس
 فصبرتُ معلقةً من رمشي/ الليلُ الرَّحِمُ/ عَطُوفٌ وطرايشُ
 وسيزا نبراوي/ مدنٌ كذا باتت من حركات التصحيح/ صقورُ/

هل أحضرت اللوزات؟ / القيء قليل هذا الليل / غريب يلمس
 في المفترق غريبا / ماتت أمي في «المخصوص» بسرطان
 المريء / أنا الضحكة في الأصل الهناكة في الخدر / أستلقي
 بهدوء المبقورين / أرى رُسلا ومجانيق وجدي يرمى غنما /
 قطرة الضالين بها سوس / خذ قصصي من كيس الأدعية /
 اسمي في النص «أناش» وفي الحزب «جميلة» / كيف تنط
 الحيوانات وقتواتي مغلقة؟ / هذي صحراء العلمين / أريد
 العَلقة صاحبة / أنت محدثة ماهرة / جاء فتى بعد الأخدود /
 ضعي الريمل خفيفاً والقفطان / الحقنة خاطئة / كيف
 اختزن البدن الضامر زلزال لقاح؟ / هذي أفدنة من قطن
 في الروح ومُهرّ في الترقوة / السيدة تمر بمدرسة الشهداء /
 أنا الغمارة لولا صندوق النقد الهزأة لولا القيع / اخرج من
 أعطلي يا تيس / الأنطاع جهولون / تركّز ضوء فوق مثلث
 ضوء / هل قلت: انكسرت تجربة العدل؟ / خذي الرنجة
 والنابت / لا أبغي إلا القروي المطبوع / هل الدنيا فاشلة؟ /

نظفَ غرفى من حبركِ يا لصُ/ تريد التطفة صاحبة/ بيتكِ
مثقوبً بالكلافين وشهريات الأمة/ سيزول القيء صباحاً/
كيف أسير على أربعة والأوتاد بأحشائي؟/ أنتِ ضميرُ
المتكلم/ حاذرٌ من تيارات البرد/ سلاحُ الطيران بريء/
كنتُ أقول: الدُمور يعذبُ مرمركِ فغليه بدرج المكتب/
أغطيةُ/ صوّر وجهي ساعة ميم في ميم/ كاميليا تبكي
عازفها وأنا أبكي الميثاقَ/ دمٌ في جلبابِ النّوم فهل سيبيعون
الشركاتِ العامة؟/ نافذتان تطلان على المخبرِ ومحاجرِ
أسمنتِ وامرأة أرهفُ من مُديتها ودمٌ/ قال الجراح: الشعر
يفتقُ قفلاً بويضاتِ محكمة/ وجهكِ في الطمطِ مليك مُقتدرُ/
سأعود/ قطاعات كاملة ستجوع/ دم من 0 يمشي من أكتوبر
حتى الدوران/ بقول طازجة بعد الصحو/ دم فوق محفات
«الوردية»/ عيناك تضيئان من البقع/ عصائرُ فاكهة/
شفتاك المثلقتان تطلان من الدلو النابضِ/ كفٌ وحساء/
دمك على المبضع للألاء/ فلماذا تستعذبُ موتي؟

اختصرتك إلى أوقية من قرفة،
 شعرة مشبوكة في «غزال تحت طاغية» لا تزال
 تسند المحاربين،
 هنا غُسلُ الفواية منصوبٌ،
 والحَيُّ السادسُ مختومٌ بحرس الحدودِ مدهوسٌ بساقي،
 أنتِ ذرايُ مَبثوثةٌ بينما الوعولُ في فعلي،
 والليلكيُّ لك لا لي لك الليلكي لا لي،
 فكيف أطفأ الحلفاءُ الجسرَ؟
 مدرّسُ العلوم قال: البريةُ أوسعُ من شرائحِ المخ،
 لكنني لن أعيد إليك نيجاتيْفَ لوثة:
 (زَغَبٌ على رابٍ مجسّته،
 فلقَتانِ مظللتانِ بالصدِّ والحُمرة،
 حفرٌ على صعبِ المسالكِ حشّوه وقد
 ازدهارٌ عجيزةٌ بيرلنت)

لم أشاهد «عشيقة الضابط الفرنسي»،
 لكنني سألح المصاغ على الطوابق العليا،
 قلت: أربعة أجنة في خلاء معدني،
 وخلف هذه المقابض المعقّمة خامسهم: مصيري،
 امرأة عارية ومنقرع المدمى هائج
 وحولهما نجاشيون يصرخون:
 أولك بواغيز حرة وأولي حنش،
 لم نكن مَبْتَيْنَ للمجهول حينما اخترنا الفتوس،
 لكن الليلكي لك لا لي لك الليلكي لا لي،
 أنفك مجنون ونهداك نونا نسوة مرفوعتان،
 لأن كل كمنجة لبن بحكم جبارين،
 فهل ألف الأكراد الجنائز بالهوى؟
 أمرغ صدغي في ن بالساحل الشمالي،
 وأصنع نُطفاً على نطف تسيل في:
 «شرين من خمرة الأصيل»،

كنا معلقين في هلب المبشرين،
 نبني قبة الأولياء وكرنك الفحش،
 وفوق لحمنا نونان نمرودتان تكمنان
 ثم تقفزان على ظهر ابن آوى،
 أرى الدريان ينهضون،
 ثلاث طفولات تكبلني عن طفولة،
 هل عذبتك الحرية؟
 افتحي يديك عن جمرتي لتسقط،
 وأوقفي المقعد الكهربائي،
 لست منتهى الجموع،
 ولست المفرد المؤنث.

يَدُّ فِي مِثْلَتِ الْكَهْرْمَانِ

عصيرُ ثعابين

كانت سلسلةُ الظَّهرِ مُهيأةً،
والجرجانيُّ على أيسرِ بطنك يصعدُ سُلَّمَه اللّغويُّ،
يحكُّ الواوَ على واوِ ويسدُّ الرَّمقَ بتيهٍ:
ليس على المنضدةِ سوى شمسِ التصنيعِ،
وطالبةٌ قرَّتْ من حصصِ الجَبَرِ،
فقلتُ: الشهواتُ مذاهبٌ والعَظَمُ عصيرُ ثعابينِ،
هنا طلابُ الهندسةِ القدماءُ يقيمونِ الذاكرةَ
ويفتتحونِ الصندوقَ،
وفوقِ رءوسِ الخطباءِ بذاركُ يمرُّ من كفِّ المحروسةِ،
لكنَّ الجرجانيُّ على أيسرِ بطنك يصعدُ سُلَّمَه اللّغويُّ
ويُطعمني الشكلَ،
فيقفزُ شِصٌّ في القمرِ الخامِ،
ويتعلَّقُ من حولِ بُراقِيٍّ مُعزُّونٍ يقولونَ لمقتولٍ:
خذِ أختَ الوردِ.

تراوت الأندلس

كيف يفلت صوتٌ يقول: أنا الوريثة؟
٦ أكتوبر تعني: غُصْنَاكِ مرفوعانِ مثلِ مشكاةٍ،
وأنا بينهما ناسخُ المكِّيَّاتِ،
حينما قلتِ: «صُنِّكُنِي»، تراءتِ الأندلسُ،
فهل تذكرين يومَ قلتِ: أنتِ كركدن؟
شمعُكِ حادثةٌ وتحت مسكيتكِ جُرفان،
قصصتِ صوفةً بليلاً فزلزلتِ الأرضُ زلزالها وانسعرتُ،
نادوا بإطلاقِ المساجينِ فعموتِ وقلتِ:
ضَعِ يَدَاكَ عَلَى الشَّافِعِيِّ،
لَيْتَكَ تَرِينَ نَفْسَكَ وَأَنْتِ مَسْرُودَةٌ؛
كان حصاني على تختكِ الشرقي مواثيقَ مراقبةٍ،
تدهنيه على القُبَّتَيْنِ والمُهْنَدِ،
فهل فاجأتكِ كُوتَاكِ بالنورس؟
تخطبين في الجموعِ عن تلاعبِ المجلسِ،

لكنني كنتُ أعلم أنك لا تلعبين الدريئة،
 وأحسُّ بين مبعوثيك الخائن الكريم،
 أنت المرأة التي شربت النبيذ مخلوطا بيوسف،
 وأنا الرجل الذي جاءه في «قارب نجاه» مطلع:
 «رملٌ على الأحداق والأحداق رملٌ».
 طفقتُ أطلعن أختي وأقول: قز،
 وأنتِ على المجزر الآلي تصعدين تهبطين:
 صنعتِ الآخرة على قرفصاء،
 بينما جرو إخوان الصفا مربوط إلى برزخ،
 وعمودُ الله قائمٌ على غُرّة.
 ناديتُ: يا ذات السبعة والعشرين هاء:
 من أين أتيت بكل هذه النُقالات؟

ورقُ الوعد

سامحني يا شرعُ/ النيران مسجرةٌ في أفواه البررة والزهاد/
غضاريفُ مرقمةٌ بالمسّ/ بصائرُ خلف القرميد العرفى/
نساءٌ يبصرن الانقاصَ مؤلّهةٌ/ مرّ/ ليس أبو الهول تراثا
يحجب عن عرقِ عرقاً/ أعمدةٌ من نورٍ تحت الثُّورات/ لماذا
يتوهجُ بالكارثة العُمرُ؟/ رسائلُ/ جاراتُ المرأة قلن لها زيدي
في القهوة مستكةٌ ملازجةٌ/ وضعي الخلخال على العانة كلَّ
هزيع/ وانتظري ساعةً يفدو القمر شبيهاً بحليبِ المسمار/
مُلوّمونَ/ الشاعرُ جوالٌ حتى تُسملَ عيناه بمخرازين من
العاج/ هشيمٌ بهشيمٍ/ جسدي ينقصُ جسدي/ أفق من
شهبٍ يغطس فيه الوراقون/ النسوة قلن لسيّدةٍ مثقلةٍ بالتبر:

خذه إلى السبع كنائس وارتجلي الصعقة / ميلادُ فتى
موقوتٌ بالبحر / الشبانُ يرشونَ اليودَ على الساقين /
قناطرُ / يرتعشون كورق الوعد / امرأةٌ ليست تعرف أن
الأزرق بعضُ حوائجها / الحزبُ انقسمَ وصندوقُ التصويت
مليءٌ بالصلصال / أراقبُ بَصَاتِ الأرنب تحت القطن /
منائرُ قايتباي معلقةٌ في الكبد / اصنعْ لحنكَ يمينك واخذْ
للأسرار / الشبانُ طمعينون / يقول القائلُ: هذا الرجل بلادُ
المرأة هذي المرأةُ مفتاحُ النيل / وينكبُّون على أغنية النوتي:
السُّرَاتُ الخمراناتُ مواسم.

أَسْرَتُهُ بِلِسَانِي

رجلٌ ممسكٌ بشمعتين في حلوان،
يقول: اذهبْ أيها الظلامُ عن رُقِّي،
سيدةٌ تجهّز الشطائرَ بينما فخذاهما يقطران،
لو اجتمعنا في المصعد كنتُ أسْرَتُهُ بِلِسَانِي،
كانت الأرجوحة تهتز وفأسُكَ تأويلَ الأحاديثِ،
صرْتُ عموديةً والطاووسُ مني،
معقوفة كزُبَيْدَةٍ في قصرِ الشوقِ،
تمثالُ العماثرِ مقدودٌ من بين أخضريكِ الحديثين،
ليس ميكيل أنجلو أصفى من والدتي،
وليس موسى سوانا في مرآة المهندسين،

اثتان في المنحنى مُحْتَكِانِ يَأْفِكِ الظهيرة،
خمسُ سنواتٍ من أشعة،
والجاحظُ شاهدٌ على يدٍ في مثلثِ الكهرمان،
هل تذكّرِين مصائدَ الجمعة؟
كانتِ الأسنانُ تصطكُ والروحُ مدبوعةً،
وهنا مغناطيسٌ طوله ستين شهرًا،
وأنا الأجيرُ تحت نعلِ المستوصف.

رثة من ضاد

سُكِّرُ أُمِّي خَمْسُ مِائَاتٍ،
ذَهَبْتُ بِي لَجَنَائِزَ مَوْرِقَةٍ مِنْ بَحْرِ الرُّومِ،
فَوَقَفَ الْخَلْقُ عَلَى رِثَةٍ مِنْ ضَادٍ،
قُلْتُ: خِيَارِي النَّرْدُ الصَّعْبُ وَتَيْنُ الْأَخِيلَةِ
عِقَابِي مَكْتَمَلٌ:
قَوْسٌ بَيْنَ الْأُنْثَى وَالْمُورِدِ،
وَفَزَاغٌ بَيْنَ الْجَسَدِ وَصُدْفَتِهِ،
مِيدَالِيَّةٌ جَرَحِي حَرْبِ التَّحْرِيرِ مَقْلُدَةً،
لَكِنَّ نَصُوصَ التَّقَالِيمِ مَرْفُوقَةٌ تَحْتَ الْكَفِّ،
أَرَى غُنْدَرَةَ الْبَدَنِ مَطِيرَةً فِي قَصْرِ الْمُنْتَزَعِ،
فَكَيْفَ تَكُونُ خَمُورُ الْوَجْهِ مُؤْجَلَةً لِلذَّبْحِ؟
هَنَالِكَ مَغْفَرَةٌ تَائِهَةٌ،
وَهُنَا تَسْمَعُونَ نَهَاراً لَمْ تَكْفِ لِإِذْلالِ الْبَنَاءِ،

كأنك صرحت: عيارك ماثرة،
 فوق الطاولة الحِيثيون ومُلاكِ القصعة،
 لي كتبٌ يميني وحواريون انخدعوا باللافتة،
 شهابٌ منقلبتُ ينجو من طبأخي القسوة،
 وأصابعُ قدميكِ محملةٌ بسُعاةِ الهيئات،
 تدللُ يا كونستابلُ وخذ رهنًا لحياتي:
 فقه اللذة وبياضِ الرحمن،
 أنا الخارجُ من قرنِ الأسئلةِ وسُكْرُ أُمي خمسُ مئات،
 ضمّرَ البحرانِ وراءِ زجاجِ الحكمة،
 لكن النبلاءَ المأجورين هم الصرعة،
 هل كبرت؟
 أذاك الشأنُ الملتبسُ على ثَمَرِ:
 بطنك في الهاتفِ مثقلةً،
 ويداكِ على حضرةٍ وضّاح،
 هنالك مفخرةٌ تائهة،

وهنا تسعون هزيعاً لم تكف لقصيلة،
كان الضباطُ الأحرارُ وجوديين،
فمن شهقت في الرجم: أنا لبؤةٌ مَنْفَا؟

- بجوعك تمثالُ البجعة،

- خاسرةٌ

رَقِيتْ أُمِّي سَلَمَهَا فِي يَوْمَيْنِ،
فألقاني السَّندانُ على دُبُرِ شاحبة،
كي أتملى موسى: انطلقْ.
لي كتبٌ يميني وحواريون انخدعوا بي،
وأصابعُ قدميكِ منظفةٌ بملائكةِ الشخص،
فمن يقتلُ تَتِينََ البدن لقاءَ الجُبَّةِ
ويحسُرُ أُمِّي؟

خلاص

هذا النزيفُ حلّو،
 لكننى أرى بين الأسرةِ والدنيا مسافةً نطع،
 لم تكن الكعبةُ غسّالتي،
 ولا الأنبياءُ مدرسيّ الخصوصيين،
 كنتُ سارقَ التّل في محطة الرمل،
 ونصفي مؤرّجِ الاختبارات،
 قلتُ لامرأةٍ من كفر صقر:
 النجاةُ أسطورةٌ بيتيةٌ،
 والقضاةُ مستحيلون.
 لن تغادر انقلابنا على تبنِ الزرائب،
 إذا لم يخذعنا الحجرُ الأسودُ،
 ربما جئنا متأخرين عن الجرس،
 غارقين في فضائح السبعينات،

مُكَلَّفَيْنَ بِالثَّوْرَةِ فِي الرَّابِعَةِ إِلَّا رُبْعاً،

هَلْ شَرَّخْتَنَا الْمَرَايَا؟

سنرى القمّاشين مسرورين في الدمعِ،

يجعلون المؤاخاة مسعى يديّ،

وكانت امرأةٌ عكسُ نفسها تقفز

من ماركيزَ إلى صبح الأعشى،

لم يكسرنا الذهبُ الأسودُ،

ولم بُمِتْ واقفين،

قال فتىٌ لمصكوكةٍ بالبرغائب:

لم أدهنُ حصيرتك بالمانجو،

فلا تطفئي كيرَ الكونِ.

كلُّ الكهانةِ مزوّرةٌ يا سيدي،

وما برحَ آدمُ مجبولاً على إغواءِ فرقةٍ ناجيةٍ،

فكم رغبتي في اسمه على زنديّ،

قلمةُ الكبشِ مكشوفةٌ،

والعابرونَ يراهنونَ على سقوطِ جلبابي من الشرفةِ،

قالت امرأة من كفر صقر:
 يخلطون العهنَ المنفوشَ بالكربون،
 قلتُ: اسمه على زندي: نقص.
 موثقُ النهايات فرحٌ
 وكانت البرقيات عاجلة:
 لا الشاحباتُ قادراتُ على قضاء،
 ولا الشاحبون قادرون على ققص.
 وداعنا منقى من سكاكين الوداع،
 لم يخطئَ حظه أحدٌ،
 وحكمتنا ما تزال صالحة:
 الأبيض
 يُفضي إلى الأبيض،

ربما باغتتنا الصياغاتُ فارتبكنا في الأقاليم،
 بعد مئة عام سوف أعزي نفسي:

الانكسارُ النظيفُ
 خيرٌ من القلبِ الملوثةِ،
 وسوف أعزي امرأةً من بلادي:
 لم تخسري سوى الخسران والشهر العقاري،
 وسوف أكتب في رخام نهضة مصر:
 يا وردُ
 هَوِّنْ
 عليك،
 المأذونُ ماتَ بدفترِ العقائد،
 فأفسحوا الطريقَ يا إخوةُ،
 كي يمرَّ المصابون.

إشارات

• في قصيدة «أول» : «جارة الوادي» أغنية لمحمد عبد الوهاب،
تأليف أحمد شوقي .

• في قصيدة «طائر الرقاد» : «البرخ» إحدى قصائدي في ديوان
«سيرة بيروت». غرناطة اسم مقهى بمصر الجديدة واسم مدينة
من مدن الأندلس. «يا من يدل خطوتي على طريق الضحكة البريئة»
من شعر صلاح عبد الصبور. رنيم: اسم بنتى، وزاهية: اسم أمى .
ليس: اسم بنتى، والراهب: اسم قريتى .

• في قصيدة «جسد الفراسة» : «البائية والحائي» عنوان ديوان لي.
نصوص مسندية : إشارة إلى الخط اليمنى القديم. «يا أم زيدي»
من كتاب «الرسائل» للجاحظ.

• في قصيدة «صباحها وصباحي» : إبراهيم الكرداوي مخرج شاب
توفي . محمد الفقيه صالح: شاعر ليبي . «ليس إرثنا مهبوقا بوصية»

و«في ظلماتنا ما من مكان للجمال» و«العيون الجميلة المحروقة»: من شعر ريتيه شار. «الأسوأ كان قد مضى»: جملة لماركيز. «عندما يأتي المساء»: أغنية لعبد الوهاب. «أشهد أنني قد عشت» عنوان مذكرات نيرود.

• في قصيدة «صبوة القنّس»: القنّس: اسم عربي لطائر خرافي، يوازي طائر الفينيق، ورد في «منطق الطير» لفريد الدين العطار. و«أعجب الأيام يومى...»: لفريد الدين العطار. وبقية المقتطفات من رسائل شخصية. «تقط الماء السائب»: جملة من شعر علي فنديل. «رائحة اللحظات»: عنوان رواية لبهيجة حسين. «هاتان مهاتان»: جملة من شعر حسن طلب.

• في قصيدة «الليلكي»: الليلكى نسبة من زهرة الليلك. البلشون: طائر مصري جنوبي قديم. «جبل الجرانيت انشق» و«مصر التي في خاطري» و«علماء وعمال» و«أتركهم ينصبون العروبة مجد الأبوة والسؤدد» و«أهلا بالمارك» و«بالأحضان يا مزارع» و«عدى النهار»: من أغاني الستينيات.

• في قصيدة «ارحم يدي يا نصفي»: «رأس المال»: اسم كتاب لماركس، «عزلة الملكات»: اسم ديوان لقاظم حداد، «ميرامار»: اسم

رواية لنجيب محفوظ ، «جدل الطبيعة»: اسم كتاب لهيجل، جمال
: هو الشاعر جمال القصاص . «ورمل كأوراق العذارى» : من شعر
ذي الرمة.

• في قصيدة «هزال تحت طائفة» : «أنا كنت عبدك في عز ضعفك
...»: أغنية لجمال بغيت يفنيها على الحجار. «ليت للبراك عينا»:
من الشعر العربي القديم . «فيه تيه في تيه ...»: من شعر الحلاج
في «الطواسين». «ليتك تحلو والحياة مريرة»: من شعر أبي فراس
الحمداني. «حبيبي من الريف جاء»: من شعر أحمد عبد المعطي
حجازي. «شجرين»: اسم قاعة فتون تشكيلية بمصر الجديدة ..
«أولى بهذا القلب أن يخفقا»: من شعر عمر الخيام ترجمة احمد
رامى . «لم يعد في لؤلؤ الأعماق محتمل ...»: من شعر قاسم حداد.
مصباح: الإشارة إلى مصباح قطب الصحفي بجريدة الأهالي
. «كن وقدم التون»: من كتاب «الرسائل» للجاحظ . «انس هملت
وانس عمرو»: من حوار في فيلم «اسكندرية كمان وكمان» ليوسف
شاهين. «سلام البازلت»: جملة لحسن طلب . «صفاقس» مدينة
تونسية و«مشتول» قرية مصرية. «سفن ويحارون»: من شعر قاسم
حداد . «كارمينا بورانا»: أوبرا موسيقية لكارل أورف.

• فى قصيدة «المستوصف»: مخرج بونابرت: يوسف شاهين مخرج فيلم «وداعا بونابرت» . سمندل : رمز الشر فى مسرحية «الأميرة تنتظر» لصالح عبد الصبور . «مصر عادت تلمسك الذهب»: أغنية لفيروز . «الليل الرحم» اسم مجموعة قصصية لمحمد روميش . سيزا نهراوي: من رائدات العمل النسائي الوطني المصري . «زغب على راب مجسته ...»: إشارة إلى أبيات القصيدة القديمة «ولها هن راب مجسته ، صعب المسالك حشوه وقد» . «عشيقه الضابط الفرنسى» : اسم فيلم غربي . «شرين من خمر الأصيل» من شعر محمود حسن إسماعيل يفتيها محمد عبد الوهاب فى «النهر الخالد».

• فى قصيدة «يد فى مثلث الكهرمان»: «قارب نجاه»: اسم مجموعة قصصية تحت الطبع لبهيجه حسين ، «قصر الشوق»: اسم رواية . لنجيب محفوظ وزبيدة إحدى بطلاتها . «موسى»: تمثال ميكيل أنجلو الشهير . «وضاح»: إشارة إلى الشاعر وضاح اليمن وقصة المعروفة مع زوجة الخليفة.

• فى قصيدة «خلاص»: «كفر صقر» إحدى مدن الشرقية . «نهضة مصر» اسم تمثال لمختار . «يا ورد هون عليك»: أغنية لمحمد عبد الوهاب.

ديوان

الشغاف والمُرِّمات

(١٩٩٤)

إلى أبي، عبد الغني سالم

وأمي، زاهية السيد نصار

أربع قصائد في المقاربات

يؤذن مغرب

يؤذن مغرب
فتحط عاشقة إزاراً فوق أبيضها الرهيف،
وتتحنى.
في الماء ترقب شكلها شهباً وأعشاباً
بلون رجالها الفانين والآتين
تكشف خطوة في الصمت،
يسألها الرعاة عن الخليل.
تحط فوق الأبيض المخبوء حُمصة،
وترحل.

في نوافذها القريبة كنتُ أسمعُ للفتى
 أن يخنلي بالترجسات الخُضرِ،
 يخلع عن موافقتها الأصائلَ،
 ثم يبكي فوق شاهدها الشهي،
 ويترك الأثوابَ عندي.
 من منائرِها يؤذن مغربٌ.
 فألمُ أوراقي من المقهى
 وأحلم بالنجيل يحوطُ حُمُصَةً بمائدةٍ.
 تشيلُ إزار عاشقةٍ
 ترامت فوق كفِّ الغائبينَ مدًى.
 وأحلم بالنجيل،
 يؤذن الحزنُ البسيطُ فأنحنى عند المياه:

الشكلُ صنُو الشكل،
 لكن الفتاة تلمُ غامضها،
 وتقضي نحبها اليومي قُربَ المغربِ المعلومِ فيَّ،
 وتتقي تحت الموائد.
 عُريُّها ينحلُّ فوق الأسطر المكتومة،
 انتبهتْ،
 فخانتْ خاطري وخُطاي.
 كان المغربُ الفَضَّاحُ أذُنَ،
 فانتشلتُ قصيديتي ملموسةً بمسيرها.
 كانت عشيقتنا تلمن نثرها خلفَ المكان.

نوفمبر ١٩٨٤

كسرت محارقتها الوحيدة

إلى ماجدة الطهطاوي

كسرت محارقتها الوحيدة،

ثم نامت في مَدَاهَا،

كنتُ أشهدُ خطوَهَا،

ما بين وردٍ والأصولِ.

سألتُ:

هل يتخاضمُ السقرُ الطويلُ مع الوصولِ؟

أجابَ طيفٌ في المَدَى:

طيفٌ يدسُ صبايَ في أنشوطه،

وأنا سأبدأ إذ يزولُ.

بها ندى،

نهضتْ ترتبُ رمزَهَا

وتخبئُ البدنَ الوحيدَ عن الفصولِ.

السُّرُ خَامَرَهَا،

فَشَكَّتْ شَعْرَهَا

فِي نِيزِكٍ يَمْضِي إِلَيَّ عَلَيَّ الصَّدَى.
خَلُصْتُ إِلَى أَنْفَاسِهَا وَتَرَاثِهَا اللَّيْلِ،
دَسْتُ فِي يَدَيَّ مَحَارَةَ مَكْسُورَةً.

كَانَتْ إِلَى النُّهْرِ الصَّمُوتِ،

خَفِيفَةً كَالْمَوْتِ وَالنَّجْوَى.

وَكُنْتُ عَلَى دَمِي الْمَفْصُولِ،

أَشْهَدُ خَطْوَهَا الْمَوْصُولَ.

هَلْ سَتَمُرُّ مِنْ رِئْتِي؟

لَا أَحَدٌ يَجِيبُ،

وَلَا مَحَارَتُهَا تَقُولُ.

تقلب خطّة القلب

إيماءةٌ صغرى،
ورائحةٌ مُطهّرةٌ بملخ حنينها المكتوم.
تثقلني المحادثةُ المرّمةُ:
احتقنتُ على دماي،
وقلتُ رأياً في التحزّب والصراع الجبهويّ.
مناخٌ هذي المهرة الحرّى
يتيح لهذه الأشجار تأويلَ التنفّس بالجنون،
والابتسامة بالضّناً.
تتراوحُ الإيماءةُ الصّغرى إلى عمري القليل،
فانتحى خلف انخطائي
كي أرتب جملةً تصفُ انخطائي بالرفائق.

تُقبلُ الأنثى على روجي،
وتمضي،
تترك الإيقاع منكسراً على شفّتي.
كان الوجهُ قربَ الوجه،
بينهما نداءٌ في الهواء يرفُّ مثل فراشةٍ داخَتْ
على القنديل،
تسكنُ في اليدين هنيهةً،
وتطيرُ في شجر المكان برمزها المرئي،
ثم تعود تهمدُ في اليدين.
تقول: لا تبدأ قصائدك القصيرة من عيوني
فالعيونُ صنيعٌ غيري،
آيتي الزمنُ الذي نسجَ العيون.

سجائري نفذت وقلبي مستديم،
تقبل الأنثى على بدني لتقلب خُطّة القلب،
استقرت كالسراب،
وراوحت مثل الطبيعة.
هل أبوح بأن جمرأ يشتهي جمرأ؟
تحطّ على الفؤاد
شفيفة كالليل حين يسوقها في الحلم؛
تخلع جورباً،
وتنام في تركيبي الشعري
عاريةً
سوى من مَسّة الكفّ الوجيهة.

ترقب النيل الرمادي الحفيظ،
 تصبُّ قهوتها التي ابتردتُ:
 ستدخلني من الثقب المقدس بين جلدي والضلوع،
 وليس من عيني،
 إني ضدُّ جسمي،
 فاعزف القيثارة ثانية على نفس المكان،
 واخل الجمر موصولاً بججري.
 تقبلُ الأنثى على بدني،
 وتمضي نحو برنسها المعلق،
 ثم تكتبُ في الندي:
 هل أنت مشتاقٌ
 وعندك لوعة؟

خذ تحوطك الملائم

إلى ماجد يوسف

تساقطُ الساعاتُ في حَلَقِي
فيفقو في دمي رجلٌ صغيرٌ يستريح على يدي،
كأن أسفاراً هَدَّتْهُ إلى الحريق
ليرتجي ظلاً على شجر الوداع،
كأن دمعته على وزن ارتطامي بارتجافته الأخيرة.
ضَعْ ملابسك الجديدة في الحقيبة،
وانتبهْ لنسيج قلبي في الهواء
وفوقَ لحمك طائراً
كقصيدة.

هذي الظلالُ توزعتْ بالعدل فوق طريقنا المدقوقِ
وانسحبتْ على شجرِ الوداعِ،
فخذْ تحوُّطَكَ الملائمَ من عيوني
لي على الخطو استداراتٌ مفاجئةٌ
فيقظُ قلبك الفُفلَ.

ارتجلُ سَنَدًا لعمرك أو لعمري من أماسينا الضليلةِ،
سوف نفرّدُ في غدٍ قمصاننا عند الخليجِ،
وننتشي بالخلقِ والمخلوقِ والوجعِ البهيجِ،
هناك ترتعنُ المؤنثةُ العَصِيَّةُ للمذكّرِ في الحديقةِ
والمحطاتِ الأليفةِ حين يشجبُ ضوءها البشريُّ؛
سوف تكونُ مثلَ بحيرةٍ أولى.

المسرّة في الفضاء تلامس القمصان لمساً جانبياً
 كالحوار الحرّ بين فؤادك المخدوش
 والرسم المشابه لي بجيب قميصك الشتوي
 محفوفاً بجلدك والدجى.
 ربّ حوائجك الصغيرة في الصناديق الصغيرة
 واعتدل
 افرح بجرحك وأتبعني
 هذه الساعات في حلقي ستسقط،
 فاحتملني ساعة أو حقبة في ضلعك الذاتي،
 حتى تستجيب الجمرّة البيضاء في الكفين للنجوى،
 وينسجم النسيج.
 لنا الطرائق وحدها.

قصائد الشُّغاف

عزف

العازفُ يتوحدُ في وَتره
يتداخلُ في الموسيقى متنداً
مخترقاً
يسكن نبرته،
ليحطُ الطيرُ على كُفِّ قهيصي.
فلماذا حين انسكب القلبُ على المرأة ارتجفتْ أهدابي؟
ولماذا حين انجرحَتْ معزوفته أبصرتْ المديّة في نافذتي؟
العازفُ يمضي نحو بدايته الأولى،
يتبدى في طرف الحقل المروّي بشوشاً وصموتا.

فلماذا قلتُ: العازفُ يتوحدُ في وتره؟
 وأنا أعرف أن العازفَ يتضرَّجُ بمواجه شجره
 ويسير على الموسيقى منفلقا
 يتخفى في نبرته ليحطَّ الطيرُ على قدره
 في كُفِّ قميصي
 مخنتقا.

غرفة

كمن بيتٌ بحرَه عن احتياجه
كمن يباعد البيوتَ عن حصيرها،
تجيء لي الهنيهة المزلزله،
هل الهواءُ بين ساعديَّ والمساء
بثقل أشياء مهجتي التي تطير في خواءِ غرفةٍ بعيدة؟
هل الأصابعُ التي تشابكت خلاصةً لأزمة؟
كمن يشقُّ غيمةً عن اكتنازها بزهرةٍ محملة
تشقني الهنيهة المزلزله
وتختفي على بهائها كمن يفيبُ في بهائه.

العابر

كان على العابر أن يمتحن يديه
وهما تقتتحان الخطوة بين الزرقة والمصرع،
العابر خائنه الحنكة في وصف الصلة الموصولة
بين زفير السيدة الصفري والشعر،
فشارف بعضاً من ميتته المخصوصة.
كان يغني في ليلته:
لأنثى أن تحتكم إلى النهر لينصرها ضد الأفق اللامح •
وأخيلتي،

ويثبتها خلف ستائرهما:
 بمحاذاة القول المكتوم وأعلى من إبريق مصبوب،
 للأنثى أن تختصر الماشين إلى ذبذبة
 بين تحركها وفضاء أريكتها النابض.
 هل كان على العابر أن يقطع هذا الزمن المتوتر
 بين الزرقة والمصرع بالأغنية المنقوصة؟
 واجه سَيِّفَيْهَا المفسولين،
 تأمل غيبوبته الحاضرة،
 وراجع غنوته وهو يشارف بعضاً من ميته المخصوصة:
 للأنثى أن تصنع في شرفتها فانوساً
 وتداري أبيضها الغُفل،
 وأن تثني ركبته لتقيم الرمز على مائدة
 بين المسّ وجسد المسوس،

وللأننى أن تتحصَّن خلف تنفُّسها الموقوت.
فهل كانَ على العابر أن يمتحن الصلة الموصولة
بين زفير السيدة الصغرى والشَّعر،
لكي يتخيرَ ميته التامة:
هل في الأغنية المنقوصة؟
أم في الخطوة بين المرأة وقصائدها؟
العابرُ خائنه البرهة.

جماعة

كساقية من لَطَى تُقْبَلُ المرأةُ الْمُسْتَحِمَّةُ
جدائلها المرسلاتُ على البَطْنِ والناهدين؛
أئمةً
أَكُنْتُ الْمُصَلِّيَ أَمِ الْمُصْطَلِي؟
أفرداً؟ أتُلَخِّصُ أُمَّةً؟

القرط

صَحَّتْ إِلَى نَعَاسِهَا،
مَشَتْ وَحِيدَةً تَجَاهُ قَرطُهَا،
حَكَتْ حِكَايَةَ سَرِيعَةٍ عَنِ الْفَتَاةِ وَالشَّاعِرِ الْكَذُوبِ
وَعَمِغَمَتْ:
يُظَلُّ مِنْ قُلَّةٍ أُرِيجُهَا لَا شَكْلَ طِينَةٍ الْأَصْصِ.
بَكَتْ وَحَدَقَتْ بِقَرطُهَا،
ثُمَّ غَيَّبَ النَّعَاسُ هَدِيبَهَا عَلَى يَدَيَّ
تَأَرَّجَتْ بِنَهْرُهَا عَلَى سَرِيرِهَا الْقَدِيمِ
وَفِي جَوَارِهَا قَصِيدَتِي الْآخِرَةَ:
تَكَادُ أَسْطَرٌّ حَزِينَةٌ تَلَامَسُ الْخُرْزَةَ الْمَلُونَةَ

يكاد طرفُ القرطِ أن يحفَّ في حروفها الكسيره.
 وهي ما تزال نائمه
 بلا أضص.
 وبينما يحفُّ بي الأريجُ كنتُ في فضائِها معلقاً أحفُّ به
 ونهرُها الحديثُ ما يزال في سريرها القديم
 جارياً بغير شكله.

صورة

الذكرى تركنُ ثدييها فوق أصابع قلبي،
وتشاغلُ عينيها بتأملِ أشياءِ الله،
وتنفو في صدري.
الذكرى تفرطُ في السهو ضفائرَها المبلولة فوق قميصي،
وتحدثني عن أخطاء الأحزاب وعن خاتمها الوجداني.
تصبّ القهوة هادئةً
وهي تداري دمعها في جلبابي،
وتخبئُ شفَتَيْها خلفَ هواءِ الحجرة،
وهواءُ الحجرة يقظانُ.
الذكرى تخلع برنسها الفضّي وراء الباب المردود خفيّاً،
وتموت.

الترجس

لا تشرّج نرجسك المخطوف تماماً
فالنرجسُ فوق حكايته،
وأخفُّ من اللغة المكتومةِ بين البطِّ وماءِ بحيرتهِ المقفولةِ.
واختبرِ النرجسَ هوناً
فهو أغضُّ من الأسئلةِ المألوفةِ
بين الجمرةِ ورمادِ سخونتها،
لا تقلِ النرجسُ حدُّ لي
فالنرجسُ ضد الشاطئ والقوسِ
وهو أخْي الخَيْلِ.
لا تَكُ سَنَدًا للنرجسِ في غسقِ
فالنرجسُ سَنَدٌ لسماءِ النهرِ وغرّينه المطمورِ بأقدامِي،

حسبك أن تصبح محفوظاً بعلائقه الليلية
 بين الطلقة والناي.
 لا تذهب للنرجس في شفتيه
 فهو بُراءٌ من صفو الأعضاء
 واذهب فيه على الشعر وطفل يسقط من أرجوحة
 لا تقل النرجس فَوَاحٍ وَكَمِيلٌ،
 فالنرجس أبعد من هيئته الملموحة
 وأذلُّ من الحقل.
 قل النرجس بدنُ هواءٍ يتذبذبُ
 بين الماء وبين الطير الطائرِ حَفَوَ الماءِ.
 وهو النقصانُ تماماً.

القطعة

كانها ستخمش الفؤاد وهي تنزوي بركنها بليلة،
كانها ستدلق البكاء في أصابعي
وهي ترشق النبال في قرنفة.
على حدود حربها مع ارتعاش نهدها ارتجفت
كسرت نسمة سرت على مسارب السهول بي
وامتزجت في تيه روعي.

على حدود عريها مع انسراق خطوها إلى فراشة
تحط فوق جبهتي رسالة تطوف بين خائفين.
تسللت إلى جريدة الحزب ليلة،
كانها ستستريح من رحيلها بميتة فريدة
وهي تبدأ الرحيل من خرافتين

رَمَتْ سَوَالَهَا الدَفِين:

هل هنيهة الطريق ضد برهة الغريق؟
كَوِّمَتْ عَلَى الْخَوَانِ ثَوْبَهَا كَأَنَّهَا سَتَخْمَشُ الْفَوَادَ فَجَاءَتْ
وَأَشْعَلَتْ عَيُونَهَا بِزَهْرَةٍ
كَأَنَّهَا سَتَبْدَأُ الْغَنَاءَ مِنْ نَسِيجِ سَهْوَةٍ
وَمَدَّدَتْ عَلَى يَدَيَّ شَعْرَهَا لَكِي تَدَسَّ فَوْقَ نَبْعِهَا الْغَطَاءُ
فَتَحْجِبُ ارْتِعَاشَ نَهْدِهَا الْخَفِيِّ عَنْ فَرَاشَةٍ
تَظَلُّ صَاحِبَةٍ.

لم تعد إلى سَوَالِهَا عَنِ الطَّرِيقِ وَالْغَرِيقِ:
مَضَتْ إِلَى الظَّلَامِ فِي دُرُوبِهَا الْوَحِيدَةِ
وَحِيدَةً

سَوَى مِنْ انْحِدَارَةٍ تَفْتَتَتْ
تَكَادُ تَشْبَهُ الْمَهَابِلَ الَّتِي أُسِيرَ ضَمْنُهَا
إِلَى هَزَائِمِي.

الشيء الأبيض

كيف تُسمّي هذا الشيء الأبيض بين العازفِ والمعزوفةِ
وهو خصيمٌ إشارته؟
هدهذه قليلاً
واشبكة على القلع لتبصرَ كيف يكون غريمَ الموجة،
كيف يحطُّ البحرُ بديلاً للبحرِ.
ولا تقترحِ الليلةَ رُتباً للوقتِ المملوءِ
بهذا الشيءِ الأبيض بين الحلمةِ وأناملها الموصوفةِ.
صِفْ نهراً تستبدله بخصائصه حين تشير إليه،
فهو خصيمٌ إشارته،
شَخْصٌ بلداً طائفةً في كفِّ
إن كنتَ تؤدُّ ضلوعك مصفوفة .

بخزانة قمصان السيدة الزرقاء،
 فهو نقيض الأمكنة جميعاً
 لكن لا تصفِ الشيء،
 الشيء أنفلت وراء تميئنه نحو أ صاحيه المقطوفه.
 فاركض صوب اللهجات به
 حتى ترمقه ينفي الأحرف عن أبيضه
 ويغيب على عيني سيدة زرقاء
 خلواً خلواً إلا من أنفاسي.
 لا تقترح اسماً - هو عكس الخلجان.
 لا تقترح اسماً - هو أغمق من حالته وأدق من البيضان.
 لا تقترح اسماً لخلي الأسماء المخطوفه
 فقط اكتب:
 هو هذا الشيء الأبيض
 بين الأحداث ونهايتها غير المؤلفه.

آخر الرؤيا

يخطفُ الروحَ من روحها خاطفٌ
فيه مَسٌّ من اممي
وفي ثوبه بعضُ دمعٍ توارى على كفه عن رؤائي
واصلٌ بين أشلاءٍ روحي وبيني
كلما جاءَ في عُريه النقى الوعلُ في خافقي رعبه
كلما جاءَ في لونه جئتُ في صورةٍ لي
على شرفة البيتِ حطتُ
وخلتُ رتوشاً بها بعضُ لحمي
واشتعلاً قريباً لأهزجتي أودماي.
يخطفُ الروحَ من روحها خاطفٌ
يخلطُ الروحَ في راحها،

ما زجاً في سمائي سَمَائِي
 ناسجاً من رمادي مَدَى شَكْلِهِ الْحُبُّ،
 صوتي على عَرْفِهِ: نَائِحٌ رَوْحَهُ الرَّائِحَةُ،
 يَخْطِفُ الرُّوحَ مِنْ رَوْحِهَا رَائِحٌ نَحْوُ وَهْمِي
 بين خطوي سراباته لي
 سراباته في خُطَايَ.
 هل رَحِيقٌ على داره: نَزْفَةٌ؟
 أم رَحِيقٌ على داره: نَائِي؟
 هاجسٌ يَخْطِفُ الرُّوحَ مِنْ رَوْحِهَا
 اقْتَنَعَ الْوَعْلَ بِالرَّكْضِ نَحْوَ اسْمِهِ
 بين ثَلٍّ مِنَ النَّرْجَسِ الْحَيِّ
 وارتعاشاتٍ داري على المهجة الطافحه.
 يسقط الوعلُ في راحتي غارقاً في لَظَائِي
 يسقط الوعلُ في صورةٍ رَسَمُهَا كَانَ مَسًّا مِنْ اسْمِي

غَابَ فِي قَبْرِ رُوحِي وَرَاحٌ
 عِنْدَمَا جَاءَنِي فِي صِبَايَ
 خَاطَفَ يَخْطَفُ الرُّوحُ مِنْ رُوحَهَا،
 شَكْلُهُ: الْخَاتَمُ الْمُسْتَحِيلُ
 صَوْتُهُ: الرُّوحُ فِي قَعْرِ رُوحِي
 وَهِيَ تَسْتَلْهُمُ الْخَطْفَ مِنْ خَاطِفٍ
 يَخْطَفُ الرُّوحُ مِنْ رُوحَهَا
 بِأَكْيَا
 خَالِماً رُوحَهُ
 عِنْدَ رُوحِي.

جميل

تهَيَّأتُ لحالها وقالت: ارمِ لي القرنفله
وكان صائِحٌ يصيحُ بي:
ابْكَرْ مَذَاكَ واحْمِهِ من المشاتِلِ المُجَرِّحِ
ولا تَقُصْ سِرَّهُ العَلِيَّ.
قالت: ارمِ لي القرنفله.
قرأتُ من «جميل»
«خَلِيلِي إِنْ قَالَتْ بِشِينَةٍ: مَا لَهُ
أَتَانَا بِلَا وَعْدٍ
فَقُولَا لَهَا: لَهَا
أَتَى وهو مشغولٌ لعَظَمِ الذي به
ومن بات يَرعى السُّهَّاءَ
سَهَّاءَ
بشِينَةٍ تَزري بالغزاةِ فِي الضحَى

إذا برزت لم تُبق يوماً بها بها
لها مقلةٌ كجلأ،
نجلاءُ خلقه
كان أباهما الطيبُ أو أمها مها
دهنتي بود قاتل وهو متلني
وكم قتلت بالود من ودها
دها»

وحينما انتهيتُ كانت استوتُ على سكونها
رماداً استراح في المسافة التي ستفصلُ الجبينَ
عن جبين
وتفصلُ الغناءَ عن فنائها الصموت.
ندى جميل
كان يستقرُّ في خبائها،
وكانت اختفت على سطوح بيتها بلمحة،
وليس في يديَّ غيرُ ذبذباتِ حالها على الهواءِ،
بين عرشها وتمتمات أضلعي.
وفي البساطِ يرتمي ندى جميل.

الأهرامات

الأهراماتُ محاذيةٌ للشُّرفاتِ
والكازوارينا عاليةٌ
تقترب من الصورةِ فوق زجاجِ النافذةِ المفتوحة،
وتحفُّ بأغنيةٍ مكتومه
تسري بين الحجراتِ.
والمرأةُ مستلقيةٌ في مخدعها الواسعِ
واحدةٌ ووحيدة،
تأملُ شكلَ الأهراماتِ محاذيةً للشُّرفاتِ
وشكلَ الكازوارينا عاليةً
وهي تلامسُ صورةَ رجلٍ باليةً

فوق زجاج النافذة المفتوحة.
كان سريرُ المرأةِ
أوسعَ من بدنِ المرأةِ
بمسافةِ بدنٍ
أضيقَ من أغنيةِ مجروحةٍ
بمسافةِ بحرٍ.
الصورةُ باليةٌ والأهراماتُ محاذيةٌ للشرفاتِ.

سهرة

حضورُها يطيرُ فوق حاضري
أخفُّ من محاولاتِ قَبْضةٍ بمهجة،
وأبعدَ ارتجافاً من المسافةِ التي تباعدُ البيوت،
وليس بين عينها وراحتي سوى انكسارتين.
خانتني تحسُّبي الطويل
فما وعيتُ أن نهرها الحديثُ حينما جرى على سريري
فإنما ليفسل السماء مني
وينحني لذاته لا لجلدي القديم.
تريح قلبها هنيهةً من اتصالِ رقصها على القلوع
وتدفن الدموعَ خلصةً على كتابي
فخانتني حسابي
بحضرةِ انكسارتين:

انكسارٍ بعمقِ سقطةِ الهواءِ بينَ هُديها وصمتي
 وانكسارٍ بطولِ الارتحالِ من صوامعي إلى مناخها:
 أخفٌ من محاولات قبضها بجسمي،
 وأنصعَ انتحابةً من المنائرِ التي تقوم بين قارين.
 ما يزال طائراً حضورها على رءوس حاضري
 خلصت سماءها من اشتباكها بحبري
 تحدثت عن الرفاقِ وانتفاضةِ المدرسينَ والزمان
 وأوقفتُ صدى المسجّلِ القريب
 ثم أخذتُ لفحةِ انسلالِ روحها من المكان
 فقلتُ فكرةً عن البدايةِ التي تشابه النهايةَ التي تحوم.
 ولم يكن على المدى الذي يحدُّ عينها وراحتي
 سوى انكسارتين
 وكلمةٍ عن السّفَر.

مَرَّة

قطفتُه - أنا وأنتِ - مَرَّة

في جنيّةٍ على زمام قريةٍ بعيدةٍ،
وكان أبيضاً.

قطفتُه - أنا وأنتِ - في محطةٍ القطار مرةً

وكان نائماً وراء هديكِ الحزين
فهّم واستطاب نفسه وحطّ شكله أمام نادّيهين
وكان شكله مباشراً وأبيضاً.

قطفتُه - أنا وأنتِ - مرةً

تحت موجةٍ عليمّةٍ سماؤها ازرقاقةً خفيفةً،
فانتقى قشاطنا اشتعاله كلؤلؤه

على دوائر المياه تحت موجةٍ عليمّةٍ
ونطّ فوق سطح مائه، فكان أبيضاً.

أنتِ سمّيتِ ناره خرافةً مرةً

ومرة

سميت لمستي: صلاه

وكان الاسم كل مرة مَزَوْقاً، وأيضاً.

واللحن صيّر الحقول خضرة تنزُّ أيضاً.

فما الذي أراق في بياضنا عكارة الدماء مرة

وسوى جنينة أليفة بمدفنٍ

تدسُّ فيه وردة غناءها الثقيل

مُلوّثاً مرة

ومرة أيضاً

كنتُ أولَ العازفين، مرة،

ولم أكن نهاية القاطفين.

وكان نصلُ خنجرٍ بخاصري

أيضاً

مرة،

ومرة

أيضاً.

موارية

ما يزال بابُ بيتها مواربا
وقلبُها مواربا
وجسْمُها مواربا
وعمرُها مواربا.
وهي ما تزال في سريرها العريضِ مأخوذةً
ترتّبُ الكواكبِ.
تلدُّ باختيارِ دفئها الثريِّ من قصيدة
يرفُّ جمرُها على الفراشِ هادئاً مرتباً
رضيةً بمعزوفةٍ تجيء في المساء دافئة
لا بمأزفٍ يجيء في الهزيعِ لاهباً

تاركةً بابَ بيتها موارِبا
وقلبها موارِبا
وجسمها موارِبا
وهي ما تزال في سريرها المريضِ مأخوذةً
ترتّب الكواكبِ.
غيابُها كان حاضراً،
حضورُها كان غائباً.

أربع قصائد في وصف الذات

حَفِيفُ فِكْرَةٍ تَهِيم

كَأَنَّنِي ارْتَقَبْتُهُ يَطْلُ مِنْ إِهَابِي
حِمَامَةٌ تَسُدُّ كَوَّةَ اغْتِرَابِي
بَلِيلَةٌ فَتَحَتْ بَابِي
أَذَاعَ لِي الْمَسَافِرُ الْبِطْيَاءُ:
قِمَاطٌ سَاعِدِي مَعَاكُسٌ لَخَطُوكُمْ عَلَى الْخَلَاءِ
وَشَاهِدِي مُؤَهَّلٌ بِزَهْرَةٍ وَحِيدَةٍ
تَخَالَفُ ابْتِدَاءَكُمْ بِالْإِنْحِلَالِ فِي الرِّحِيقِ.
قِمَاطٌ سَاعِدِي: طَرِيقٌ.
كَأَنَّنِي انْتَضَرْتُهُ يَفِيءُ
رَمُوزَ خُضْرَةٍ تَشْقُ فِي عَمَّانَةِ اللَّطَى خِرَابِي.
بَلِيلَةٌ فَتَحَتْ بَابِي

أطاعَ مهجتي المسافرَ البطيءَ
ليمنحَ الزمانَ لي لكي أتمَّ للورى سؤالِي:
تُرى تسرَّبتَ مع المسا صبيَّةً تشابه الحدود
تخبَّأتَ بأرزها الخَفِيَّ أو تكللتَ بحلمها
الثقيل لتربطَ الخلاصَ في قميصها البليل؟
بليلةٍ لمحتَه:

يهرول الفتى على ثرى بلاده مؤجَّجاً بصيرته
لينتقي من الأسى المتاحِ جلوتينِ من جوى:
مدامع الزاحفين في القرى، وفنتته.
فلم يخصَّ وردَه

بغيرِ بَحَّةٍ هزيلةٍ وهامٍ في ملاءةِ الفضاء.
تُراهُ في غياهبِ السُّنا أضاء؟
أم تُراه كان مُلزماً برقصةٍ بهيةٍ مع ارتعاشةِ الثرى؟

له حفيظُ فكرةٍ تهيم
له زمانُ قُبُرةٍ
له اختيارُ بُردتي دثاره،
أو اختيارُ بَرِّقه النقيِّ ضدَّ شمعتي المُفْفرة.

كأنني اقترحتُه على سَرَابي
وشلتُه أريجَ وهم استكانَ في ثيابي.
هل استَقَّتْ دمايُ صوته يقول:
هذه المحرَّكاتُ نَقِيَّ حَضْرَتِي.
فلا وجودُكم لنُبضتي لبُوسُها،
ولا سماؤُكم تليقُ باحتضارتي.
تمرد الفتى عليّ،
ومات في يديّ.

جِسْمَانِ بِجُثْمَانِ

إلى ميدان الدقي

فِي الْمِيدَانِ الْمَشْجُوجِ، لِحْتُهُ:

كَانَ هُوَ النَّاحِلَ نَفْسَهُ.

كَانَ هُوَ الْهَائِمَ نَفْسَهُ.

فَنَدَهُهُ.

انْخَرَطَ بِعَتَمَةٍ دَرَبٍ كُنْتُ شَبَكْتُ عَلَى شَجَرَتِهِ أَسْمَائِي،

وَشَبَكْتُهُ.

انْدَاخَ عَلَى غَبِشَتِهِ الرِّفَافَةُ، فَتَبِعَتْهُ

اصْطَدَمْتُ فِي رِضٍّ مَكْتُومٍ رَتَّنَانَا، فَعَرَفْتُهُ:

كَانَ الشَّجُّ عَمِيقاً بَيْنَ الْعَيْنَيْنِ.

حين انحرفَ على صدري
 ليقول: اذهبْ لترى الكونَ يفيضُ على شباكِ الأكوان
 بنثارِ غموضِ الأنثى ونثارِ غموضِ التوتِ
 لم يكُ يعرفُ أن دمائي في رؤيائي
 أن ثقبَ حياتي حدقاتَ تبصرُ لثموتِ
 وخطائي
 مُقلُّ تَمَلَى رفرقةَ الملكوتِ.
 لما صارَ جبينٌ بجبينِ،
 لمَحَ الجثةُ في الرؤيا، والرؤيا في حجمِ التابوتِ
 والمشهدُ: جسمانِ يجثمانِ.
 تتسعُ الدائرةُ على الغبشةِ وتضيقُ على النايِ
 وقريني حين انقسمَ على تجعيدةِ كفي.
 كان يرى الكونَ اتكأَ على أهدابي،
 ويرى الأمكنةَ وقد صارت سكيناً في جلبابي.
 صرخ: الأمكنةُ استشرت في شريانِ قتبلي.

وأنا من تحت الأبنية همست:
الأمكنة هنيهاتي والطرقأت سَمَائِي.

في الميدان المتخفي عن جسمي أبصرته
كان يُعَبِّئُ سنواتي في جمجمة مثقوبه
ويرتبُ أوردة صباهُ على قلبي،
كان زمانني المغدور وقد صار مكانا.

وعلى العتمة رثتان
ونزيف فضاح لدم مُفْتَضِح
ينحدرُ على الجدرانِ إلى أعلى.
(ليت المكانَ كانَ خرقةً ولا زمان
ليت المكانَ كانَ جغرافيا بلا ضلوع
أو كانَ دميةً بلا ملامح انكسار وردةٍ
تضيقُ إذ تضوعُ،
ليت المكانَ كانَ لا مكانَ).

ينحني على بلاده انحناءة

الى صلاح عدلي

كأنه ينام في خصائص ابتدائه،
كأنه شبيه مائه،
أتى إلي وهلة وغام في الغمامة،
استعان باضطرابه على خطاه، واستكن.
كان يستريح في الخراب من ضنا فؤاده الحيي،
فاستقر في طريقه على طريقة من الخطى تخص هيئة
الصلوات بين عمره وبين أهله المبعثرين في فضائه.
انتمى لوردة تحط في الخفاء عطرها،
وعطرها على يدي،
تحت نخلة غفا، وقال:
هذه البلاد من ملامحي، وهذه القناطر الضلوع.

كان يختفي وراء مائه
 يستدير خلف حارس،
 يغزُّ في الجدار أنملاً يبيله بروحه،
 فيسحب الفتاة من خلال كوة ويستقيم في شئونها،
 يدسُّ في غيومها اعترافه الوحيد: ياسمين.
 هزه الجنود فاستدار في المساء داخلاً نسيجه الطري،
 واستطال عند رأس حارة،
 وكان مثل قُطنة: مجففاً وناصعاً،
 يدقُّ بابَ شرفتي،
 فتحت: فوق مشبك الثياب كان رمزُه يرفُّ في هوائه،
 وفوق سُترتي البليلة الرسالة: الدَّم - البلاد.
 لم يكن سوى مناخه على جدارِ شرفتي،
 ولا على يديَّ غير ريقه المراق.
 واحداً سيبدأ الخليقة الأخيرة:
 اكتفى بذاته،

اكتفى ببلدة بحجم طلعة الإله واستراح من ضنا الفؤاد.
 هزمه الجنودُ فأنحنى ليكمل ابتناء بيته على دمائه،
 وبيان من خفائه،
 السماء حوّلتَه لي: فراح يصهر الفضاء طفلةً،
 ويرصد المسافة التي ستفصل الشذى عن التويج،
 أو تباعد المدى عن المضيعين فيه،
 ثم راح في غمامة وحيدة يفكك الحياة عن غموضها،
 يداعب الجنودَ وهو يرتقي سلالَمَ القرنفل الندي،
 يمسح الثرى بكفه وهو يصنع البلاد مرةً:
 كأنه ينأى في خصائص ابتدائه
 كأن موطناً يكن في ردائه
 كأنه يربُّ في طلوعه دواءه بدائه.

أحد لم يتبعني

إلى حسن طلب

لم يتبعني أحد، كنتُ أسير على شرياني
أفحصُ صفتي في ذاتي، وأعدُّ كوني بكياني.

لم يتبعني أحد، سرُّ وراء الهاجسِ مخطوفاً،
يدلفُ بي في سردابٍ - أدلفُ في سرادبٍ،
يترنُّجُ بي في السردابِ على جسدِ أَعْتَمَهُ الْعَسَقُ - فأترنُّجُ،
يُشْعِلُ في الخطو سراجاً رمزياً - أشْعِلُ رمزياً،
فيحطُّ السُّرَجُ على بطنِ المنطرحين وراءَ النافوراتِ المعجونةِ
بحناجرٍ تصرخُ بالرؤيا المكتومة - فأحطُ
السُّرَجُ على بطنِ المنطرحين،

فبَاغْتَنِي فِي الْمُنْحَدِرِ، التَّفَّ عَلَيَّ وَوَاجَهْنِي،
لَكِنِّي كُنْتُ أَفْسَرُ بَعْيَانِي غَيْبِي وَأَفْسَرُ غَيْبِي بَعْيَانِي.

(كانت تمضي)

تَبْذُرُ فِي الْأَشْجَارِ رِمَاداً مِنْ وَمَضِي
تَتَبَدَّى عِبْرَ الْحُلُكَةِ كَالْأَسْرَارِ،
وَلَكِنْ بِالسَّرِّ الْهَارِبِ لَا تُقْضِي
أَرْمَقُ سَاحِلَهَا الْمَكْشُوفَ عَلَى بَدَنِي،
فَتَقْضُ وَتُقْضِي

تمضي

تَارِكَةً بَعْضِي مَسْكُوناً بِوَسَاوِسِ بَعْضِي)

قَالَ الرَّجُلُ: افْرَطْ عَنْقُودَكَ، فَفَرَطْتُ.
اِقْتَادَ خَطَايَ إِلَى الدَّغْلِ النَّابِضِ، فَاِنْقَدْتُ.
فَبَسَطَ عَلَى الْأَفْرِعِ شَالَ امْرَأَةً مَرْبُوبَةً فِي طَيْبٍ،

قال: تَلَفَعْتُ، فَتَلَفَعْتُ، تَشَمَّمْتُ، فَتَشَمَّمْتُ؛
كَمَنْ غَبَيْْتُ،

كَمَنْ رُحْتُ وَفِي الْحَضْرَةِ جِئْتُ،
كَمَنْ نَوْدَيْتُ وَمَنْ غَيْرُ نَدَاءٍ لُبَيْتُ،
الْقَائِلُ قَالَ: اسْتَلَقِي عَلَى الْمَجْمَرَةِ، فَحَاوَلْتُ وَمَا كَدْتُ،
اِخْتَلَطْتُ أَكْوَانِي فِي أَكْوَانِي.

خَمَّ الرَّجُلُ جَبِينِي مِنْ خَتَمِ الدَّغْلِ وَشَدَّ الرُّسْفَيْنِ،
انْخَذَلْتُ قَدَمَايَ عَلَى عَشْبٍ مَاسٍ وَعَشْبٍ سَوْفٍ يَمِيسٍ،
كَمَنْ نَحَفْتُ بِلِيلٍ، فَتَنَحَفْتُ
وَذُوبْتُ بِكَمَّيْنِ مَحَنَكَتَيْنِ فَذُبْتُ
وُخِفَفْتُ فَطُرْتُ
وَفِي طَيْرِي حَيَّ الْعَارِيَّةَ وَحَيَّانِي.

انْحَلَّ الْمَعْقُودُ عَلَيَّ،
فَمَا لَ الرَّجُلُ إِلَيَّ،

أشار إلى بيتٍ خلفَ السهلِ، نظرتُ:
رأيتُ كياني منسوجاً في شالِ امرأةٍ مربوبٍ في طيبِ،
والشالُ على كتفِ الجنديِ المقتولِ،
الجنديُّ المقتولُ مقيمٌ خنجره الصاحي في حلقي،
حلقي يتضحُ نخلاً مجهولاً في باحاتِ البيتِ المشروخِ،
البيتُ المشروخُ صغيرٌ كالترعةِ في طيني،
والترعةُ في طيني تجري بالماءِ الدامغِ تحت شقوقِ الروحِ
بأبداني،
تذروني في أطرافِ النخلِ الممدودةِ،
لكنَّ النخلَ يفتتُ صفتي في ذاتي وبيعثر كوني بكياني.
أحدُّ لم يتبعني، كان رفيقي شرياني.

سبع قصائد في المرمّات

إلى إدوار الطرابلسي

وسيلة .

وهَبَّتْ لِنَقَشِ السَّقْفِ طَائِرَهَا الْمَخْفُفَ،
ثُمَّ رَاحَتْ عِنْدَ قَوْسِ الْكُورْسِ الْخَلْفِيِّ تُحْصِي خَصْرَهَا،
وَالكَاهِنُ ارْتَفَعَتْ أُنَامِلُهُ بِوَجْهِ الصُّبُوءِ الْبِكْرِ.
اِخْتَفَى زَمْنِي عَلَى صَوْتَيْنِ،
فَانْسَابَتْ قَنَادِيلُ،
انْخَطَفْنَا،
وَالنُّحُورُ وَسِيلَةٌ لِلرَّبِّ.

حساسية

بُوغْتُ أَصْرُخُ جَنْبَ رُوحِي
كَلِمَا تَرَكْتُ قَمِيصاً عِنْدَ عَازِفِهَا الْمُنْحَفِ،
وَانْتَنَتْ قَرَبَ الْيَدَيْنِ.
احترتُ فِي جَسَدِي،
وَقُلْتُ: كَأَن أَيْبَضُهَا الْمَرْهَفَ ضِدَّ شِعْرِي.
ثُمَّ مَسَّتْ رِجْلَتِي.

كشفت صديرياً

خليلي يتحنني للرمز،
لكنّ عاجُها المبيّضُ لي.
كشفتُ صديرياً وغابت في الشفاهِ الحرّة،
انزاحت غلالاتُ،
فمات فتى يُسمّي نفسه البدنَ المضيّع،
وانزوى جنبَ الإله.

خطفن كمثرى

الْمَرِيَمَاتُ خُطِفْنَ كَمَثْرَى مِنَ الرُّوحِ الْمُقَدَّسِ،
ثُمَّ أُطْلِقْنَ الضَّفَائِرَ قُرْبَ عَظْمِي،
فَانْجَرَحْتُ،
وَلَمْ يَكُنْ إِدْوَارٌ مِثْلَ حَمَامَتَيْنِ،
يَخْبُ فِي الْوَلَةِ الْعَتِيقِ.
فَكَانَ بِيَكِي سَاعَةً،
وَيَعُودُ ثَانِيَةً إِلَى خُطَافِهِ اللَّفْوِيِّ،
كِي يَصِلَ التَّوْبَجَّةَ بِالتَّوْبَجِ.

اقتربت يداي

كانت تبدأ الإنشاد
من وجمعي المغلف بالبطاقات المباركة،
استدارت في صياها لفَتَتَيْنِ،
وأقبلت في الشجو،
تمنحُ نفسها لشفائها المخصوصة.
اقتربت يداي من الوضع،
وكان إنجيل قديم يثرثب على رخام أنثوي،
وهي تفتح نهرها للنهر،
كي ينحل ماءً
فوق ماء.

مسافة

يترتلُّ النصُّ المؤلفُ في الأعالي،
للعلاقة بين ردفِ الأصابعِ،
فانتبهتُ.
العازقاتُ صنعنَ معجزةً مبسطةً لقلبي،
ثم خُضْنَ به المسافةُ
بين عمري والنصوصِ.
هنا الهواءُ يمسُّ كعبَ الفتنةِ المجلو،
فارتاح الروائيُّ الشجيُّ لبرهَتَيْنِ،
ومألُ صوبَ حروفه العليا:
المسافةُ ما تزال.

بلاغه أخرى

وَتَرَّ خَفِيٌّ،
هذه الأنثى تُسَرِّبُ صَوْتَهَا لِي فِي الْوَصَايَا،
يَوْمُ التَّرْتِيلُ لِلْغَيْبِيَةِ الصَّفْرَى بِخَطْوِي،
ثم يَخْفُتُ فِي الْمَدَى
يَصِفُ التَّقَارُبَ بَيْنَ خَصْرِي وَالتَّبْعِي.
الضَّارِعَاتُ وَضَعْنَ كَعْكَاً فِي نُهُودِ الضَّارِعَاتِ،
بِلاغةٌ أُخْرَى سَرَّتْ فَوْقَ الرُّؤُوسِ:
تَمَجَّدَ الْجَسَدُ الْكَرِيمُ.
وَكُنْتُ أَجْمَعُ مَا تَبَقِيَ مِنْ دَلَالَاتِ،
وَأَمْضِي نَعْوَعْمَرِي؛
إِنْ هَذَا النُّعْرَ ذَاكِرَةٌ
وَلَكِنِّي أَزُولُ.

قصائد الوداد

سؤال

تسألني نرجسة متوجسة:

هل في صخرة عينيك الراحلتين الرفأ؟

فأغني للروح: وهل مُعتلُّ بالأشواقِ المخبوءة يبرأ؟

تسألني نرجسة متوجسة:

ماذا يمنح محاربتنا زمناً ينداح على الرملِ الصافي،

لنيس يحول ولا يصدأ؟

فأجيبُ: الخمرُ البغداديُّ يبشرك: الخاتمة،

وعيناك: المبدأ.

فدعي طيرك يلقط من كفي الأرز،

ويفسل أجنحة الأرق،

ويهدأ.

نرجسة متوحشة

تُنهِي سَيْرَ الترجالِ

وتبدأ.

البرج

نَصلُ يَصلُ السَّنةَ بَسةً،
طُرقاتٌ مُنعتٌ للخطواتِ،
هواءٌ يشبكُ أفئدةً مائلةً في أغصانٍ مائلةٍ،
عشبُ الناديِ الأهليّ،
القهوةُ،
والقصاصُ،
الخفقانُ،
وخطواتٌ مُنعتٌ للطُّرقاتِ،
الحلمُ بضمةٍ منتصفِ الأزمانِ،
القلعةُ شاحبةٌ كالياقوتِ،
حنينُ الكفِّ إلى الكفِّ،

القدمانِ جوارَ القدمينِ،
السيارتُ المتزلقةُ كاليرقاتِ،
البشرُ،
نزوعُ المبتدِ إلى البردانِ،
سرابُ الأهراماتِ،
أراكِ عصيَّ الدمعِ،
السُّكَّرُ ملعقتانِ،
الدنيا شاهقةٌ والروحُ المخطوفةُ شاهقةٌ،
نصلُّ يصلُ السنةَ بسنةٍ،
وعيونٌ مُنعتٌ للدمعاتِ.

الأتيليه

حدّث رفقاءك عن سوسنة،
واصبرْ عني لغة الضادِ قليلاً.
فأنا سادبرُ أمرِ جنوني ببراءةٍ إقليميةٍ:
سامرُ مساءً بأتيليه القاهرة،
وأتركُ لك خرزاً أزرقاً والمبسم،
أسألُ أنورَ كاملَ عن سيرتك الذاتية.
أو أصغي لخصائص تجربة «اللاز».
فحدّث رفقاءك عن سوسنة.
أعرفُ أنك رمزُ اللوحات المائية،
وثيابك طائفة فوق الأمكنة المنظورة،
قل لي: هل مزجُ الأحمرِ بالأزرقِ يعني أنك تنتظرُ
وراء التأثيرية نهدي؟

وهل وُضِعَ الفخلة بجوار الخدين يدلُّ على قلق الشعراء؟
 كريمُ الدولة كان مليئاً بالفتية وشحيح الضوء،
 فتأديت: اصرف عني لغة الضاد قليلاً
 لأحرِّك في الميدان ذراعِي،
 وأمضي نحو لقاء النيل مع المتوسط
 كي ألحَّ وجهك خلف رذاذ الميناء
 وأخفي ولَمِي في قمصان الرسامين
 فحدثت رفقاءك عن سوسنة
 خففت في عرواات الأعيان المنفيين
 وحطت فوق الجدول ظامئة.
 أعرف أنك ثمة،
 وأنا سأدبر أمر جنوني ببراءة إقليمِي،
 وأجيب كريم الدولة سوسنة.

ثوب بنفسجي

هذا الصُوفُ المصريُّ
إذا لامسَ جسداً من أنبوسٍ يتوهجُ،
وإذا اصطليغَ بلونِ دماءِ غزالاتٍ مجروحاتٍ يتهدجُ،
ويشفُ كقيسٍ،
يحدثني وهو صموتٌ.
هل يحتملُ فؤادُ مُصابٍ هذا التركيبَ البشريَّ:
نسيجٌ نباضٌ يُنسجُ،
نولٌ لفٌّ على كُرّةِ شرايينَ،
بنفسجةٍ فرطتْ فوقَ البدنِ المحروقِ،
غزالاتٌ محقوناتٌ بالجمهرِ الفطريِّ،
جدائلُ محبوساتٍ في خرزٍ أبيضٍ تتماسُ مع
النقشِ المضغوطِ،

وتَجَنَّكَ بِشَهَوَاتِ صُغْرَى تَتَخَايَلِ لِلخَاطِرِ،
تَتَأَجَّجُ،
وَتَقْوَتْ.

ماذا يحدثُ لِلخَلْقِ الْأَوَّلِ
حين يلامسُ قَصُّ الطَّرِيزِ المضبوطِ
رءوسَ الحِلِمَاتِ المخبِوءَاتِ وراءَ المَلَكُوتِ؟
النَسِجُ المَخْرُوطُ على فَرْعِ مَخْرُوطٍ
يعرفُ أن مَسَافَةً ما بين المَخْرُوطَيْنِ
يُرَوِّقُهَا خَيْطُ هَوَاءٍ شَرْقِيٍّ
ويؤثِّرُهَا نَفْسُ الشَّاعِرِ
وهو يذيعُ حُرُوفاً أَوَّلَى من عَمْرِ مَسْكُونٍ بِالتَّابُوتِ.

تَنْصَبُ دِمَاءُ غَزَالَاتٍ مَجْرُوحَاتٍ فَوْقَ الْجَسَدِ الْأَبْنُوسِيِّ،
فَيَنْشِجُ وَيَنْشِجُ،

وَوَرَاءَ بِنَفْسِجَةٍ كَانَ الصَّبَاغُونَ الْعَذْرِيُّونَ
يَخْطُونُ عَلَى الصُّوفِ الْمَصْرِيِّ
سُؤَالَ الْأُنْثَى الْمَخْطُوطَ:

تُرَى مَنْ يَخْلَعْنِي مِنْ هَذَا الْغَزَلِ الْيَدَوِيِّ
وَمَنْ يَخْطِفْنِي مِنْ وَرَقِ التَّوْتِ؟

حوار

سألت: أي فتاديلي خطفتك إلي؟
فأجبت: القنديلُ المحمولُ على خصر نبي.
خطفتني سمرةُ نرجسةٍ تحبو من خديكِ إلى عيني
أسرابُ يمام هيام
نامت فوق الهدبِ اليقظانِ وماتت في الأرقِ الحي
بلوراتُ مكسوراتٍ هربت من أقفاصِ طفولتها
لتحط على زندي.
قالت: فاكشف لي رمزك يا جني
غنيبت: أنا المخبوء وراء أصابعكِ الحيرى
والعلني.
الغامض في الورد، وفي الجمرِ جلي.
فضعي فتديلك في نافذتي
ودعي أصدافكِ تصنع لؤلؤها وتنام كأبد في شطبي.
أي فتاديلي خطفتك إلي؟
قلت: حزين الضي.

مطر

سيدةٌ تمشي تحت اللؤلؤ،
واللؤلؤُ سيَّالٌ من كفِّ الله انسابٌ،
الماشونَ اختبأوا خلفَ السورِ الحجريِّ،
وتركتْ أسرَّ شرفاتِ النهرِ إلى الحجراتِ،
وسيدةٌ تمشي تحت اللؤلؤ.
شارعُ أحمدَ شوقي يلمعُ بالبَلَلِ الطازجِ،
واللؤلؤُ سيَّالٌ من كفِّ الله انسابٌ،
السياراتُ المقفولةُ تمرُّ داكئةً وتثَّ رذاذاً،
كان الرجلُ المنتظرُ يغني قُربَ الجسرِ:
إذا ابتلتْ أثوابُكِ سأجففها بدمائي.

اللؤلؤُ يغزُّ ويخفُّ،
 الأشجارُ المغسولةُ تتشهى الجمرةَ وتراقبُ
 سيدةً تمشي تحت اللؤلؤ،
 والطريقُ خلاً إلا من ساقينِ تحثانِ الخطو،
 الرجلُ المنتظرُ يفنى قربَ الجسر:
 إذا ابتلتَ قدماكِ سأمسحُ قدميكِ بخدي،
 الشارعُ ممتلئٌ بفراغِ المارةِ،
 واللؤلؤُ
 يمشي تحت اللؤلؤ.

زمن حاتم زهران

إعتامٌ يفتتحُ نهايات الضوء،
رءوسٌ تنبضُ مشدودات نحو البؤرة،
شهداءُ يروحون وشهداءُ يعودون،
يداعها فوقَ يديَّ
كربيّين صغيريّين يسوقان الغفرانَ لخطّاءِ يّين صغيريّين،
الدبابةُ والمرسيدسُ رمزانِ لكونيّين اصطربعا تمثيليّا،
وشهيقٌ يترقبُ كيف ستتهار الآلهةُ المرسومةُ،
هذا الخفقُ المكتومُ بأوردةِ صنّاعٍ للأسرارِ،
امرأةٌ وأصابعُها في زاويةِ،
أفّاقونَ رقيقونَ يعدّون السهرةَ في مهلٍ،
وسخونةٌ كفّيها صاعقةٌ،

بَنَاءُونَ حَدِيثُونَ يَطِيحُونَ بِمَنْزِلٍ مَنْقَرَعٍ،
الموسيقى عكسُ النرجسية المتوجسة،
وعيناها تلتثمان،
الدبابة تُخلّي للمرسيديس دربَ الحرّانية،
قالت: كنتُ على زنديكٍ مخدرةً بالبهجات،
المعماريون الجددُ يفكّون رسومَ المستشفى الخيري،
يذاها فوق جبيني كالدرع،
هل الشعرُ كفيلٌ بمقاومةِ خرابِ الدلتا؟
بدنٌ بكرٌ ينتفضُ على العتمةِ كالرثم،
المعمارُ الريفيُّ تهاوى في مُهَجِ الريفيين،
أصابعُ عاشقةٍ في شفّتي،
يموتُ الطفلُ المنذورُ على ساقيةٍ في الروح،
الكادرُ يفصحُ عن تكوينٍ فتيلٍ يتعلّبُ بحقائق غامضة،

وأنا أرمقُ شهواتي السيارةَ تمرقُ من رثتي إلى رثتي،
 وفي الردهة أفلتُ أسراي وأمشي صوبَ خيالي.
 كان الأفاقونَ المرحونَ يغنونَ بليلٍ مَرَحٍ:
 نحن الأفاقونَ المرحونَ،
 تقول: البُتِّي بعينيك خفيفٌ هذي الساعة،
 وتنامُ.
 خرابُ الدلتا في لقطاتٍ موجزة،
 ورءوسٌ تتحركُ في الإعتامِ الحي،
 النورُ يضاءُ بلمباتٍ سوداءَ،
 ونهداها يرتجفان:
 دراما سيدتي أعلى.

إسكندرية

الأماكنُ مذكوفةٌ في الفضاءِ ،
وعابرتي تشرحُ القوسَ للحالِكينَ ،
تري في التماثيلِ صحواً يرنحها في الطريقِ ،
فتدفنُ في دغلِ صدري الموانئِ ،
تبكي بكاءَ المدائنِ إن بُنيتْ فوقَ طايبيةِ ،
وتخبئُ في جعبةِ أمِّ كلثومَ ،
ثم تبيئُها حين يصحو المتيمُّ ،
ليس على البحرِ إلا المصائدُ .

سرطان

يستأصلُ خَفَقَ خَفَقًا
تنداحُ خَلِيَّاتُ مسعوراتٍ في أكبادِ مسعوراتٍ،
تَهْوِي مُدْنٌ في الروحِ ومدنٌ تَرْقَى
يَمُّ لِنَظَامٍ وَحُطَامٍ
والناجونَ يرومونَ جمالَ الغَرْقِي.

بواباتُ أوسعُ من خطواتي،
وزفيرُ أبطأ من ذويانٍ عظامي في آنية،
هذا السرطانُ الفتانُ تَسْرِبُ للعمرِ المفتونِ
بقفزاتٍ لَيِّنَةٍ وقصائدٍ من دمعيلٍ،
كيف انتخبَ الأضلاعَ وحطَّ على ممشاتي

مرتجلاً كالطاووس المطعون؟
وكيف أدلُّ عليه الآباء؟
أمامي بواباتٌ أوسعُ من صرخاتي
وزفيرٌ مفرومٌ بين المشرحةِ وفعلُنْ يترجرجُ
وعلى أعمدةٍ سريري كان التقريرُ يقول:
السرطانُ الفتانُ دمي.

وبقربِ كُرَيَاتٍ مفلوتاتٍ يستأصلُ خفقَ خفقاً
والعشاقَ الغرقانُونِ يشيلونَ على الأكتافِ العشاقَ الغرقى
يُمُّ لَطَامٌ وحطامٌ تخرجُ منه النرجسةُ الأنقى.

الفوشيا

ليس الأحمر والأزرق بُغَيْتَه،
لكنَّ البحرَ وعَيْنَ القطْطِ وصراخَ الغزلانِ
بقاياهِ المنثورةُ فِي الطرقاتِ .
ليس هو الوردِيّ،
الوردِيّ حياديٌّ يخطفُ فرحتَه من تلفيقِ فتاتِ الفرحاتِ
وهو المنحازُ لأيدي النحاتين إذا تخلعه بالنونِ
عن السرِّ المكنونِ بأبدانِ المنحوتاتِ.
ليس يُعرَفُ بالنفِي،
وليس يُوصَفُ بالإثباتِ .
هو همسُ المرأةِ للرجلِ: تعالِ،
وهمسُ الرجلِ إلى المرأةِ: آتِ.

بردية

كان فراغةً بسطاءً يهيمنون على العشب الأبيض،
والسيدة المتميزة تبصُّ على المصنوعات الأبدية
برفاهية،
وتداري الجسد البشري عن الكوة في جدران الأهرامات
بخبث فطري
لتميل تجاه مراوحها المتبوعة،
بجلال اللبؤات المأخوذات إلى طيبة.
ليس على السقاليين
سوى أن ينتشلوا الصوان إلى أقدام العاشقة،
لتصنع صومعة غلال من سنبل المحرومين،
وتقضي رغبات ضحاها اليومي
إذا صارت بمحاذاة بحيرتها الشخصية.

تتبعني عند دخول الشمس من الكوة، وتقول:
امشِ إلى الماءِ تر الماعزَ وعصا وثيابي.

سيدةٌ متميِّزةٌ تتحمَّمُ في الزئبقِ متميِّزةٌ
وتصفُ الخلقَ وصفاتٍ مرهوناتٍ بالإيماءِ،
وتسألني: هل عيناى كورق الليمون،
وهل كالمُدِّيَةِ ذقتي الملكِيَّةُ؟
ليس على التوحيدِيَّينَ
سوى الجهرِ بوردةِ أخناتونَ،
وليس عليَّ سوى الإصغاءِ لمحبوبي
وهو يكلمني من تحت التاجِ بهيمنةِ المعشوقينَ:
أنا قلبي قنَّ ببلاطِ قصائدكِ المحنيةِ،
فاضممني في صدركِ يا بنَ الحدادينَ،
وخذْ عمري بشروطِ الكهنةِ.
رمسيسُ أبي،

وأنا أمةٌ سيدةٌ في مركبِكَ الفخاري.

انكشفَ المعبدُ،

تقضي رغباتِ ضحاها اليومي،

وتملكُ،

أختي المتميزةُ تجيءُ إليّ على أكتافِ الفنانين،

تفوح من الإبطينِ تواريحُ الأسرِ الذاهبةِ،

فأهتف: في عينيكِ مهالكُ دائرةٌ ومقاطعُ مرسلَةٌ

يا سيدةَ متميزةَ

تخفي الجسدَ البشريَّ عن الكوةِ في جدرانِ الأهراماتِ،

دعيني مشبوكاً في هندسةِ الكرنكِ،

واتجري هذا الموسمَ في الحنطةِ وتوابلِ بدنِ

المحروقينِ بمعصيةِ،

أنتِ وريثةُ حتشبسوتِ.

تحية

عِمتِ صباحاً يا رثّةً من نَفْسِ المحتاجين،
صباحُ الخيرِ على كَفْيِكَ تجسّانِ جِبيني
وتضيفانِ الفكرةَ للمخلوقاتِ،
صباحُ الخيرِ على حضرتكِ المنشورةِ فيما بين النهرينِ،
استندي في الليل على الوادي،
فأنا أكمُنُ بشهيقِ الزرعِ الصيفيِّ،
وعِمتِ صباحاً،
هل نمتِ عميقاً كالفسقية؟
هل أدركتِ طريقةَ تشريحِ الأعضاءِ بلمساتٍ من أنملة؟
يطفرُّ من نَحركِ وردٌ بُنيٌّ،
فانكثي في المَشْيِ على الشّتلاتِ وخُوضي فيّ،

صباحُ الخيرِ على خصرِكِ وهو يقرُّ أمامَ يدي،
 خذي الشاي بخفّةِ خالقةِ
 واستمعي للنأي بأسلوبِ القدماءِ المصريين،
 وعمتِ صباحاً،
 هل أمسكتِ الرابطَ بين المستشفى والنورِ؟
 هل زال القلقُ الليلي؟
 ضعي تحتِ وسادتكِ ضلوعي
 لتنامي كالبيرقِ وتقبلي كالجرّاحين،
 صباحُ الخيرِ على كفّيكِ الساخنتينِ هنيهةً كنا بكريم،
 أأسميتِ فؤادي السرطانَ؟
 فعمتِ صباحاً يا من أسميتُكِ نرجسةً متوجسةً،
 عمّتِ صباحاً لي،
 وصباحُ الخيرِ عليّ.

مارس ١٩٨٧

5	البائية والحائي
101	دهاليزي والصيف ذو الوطاء
171	فقه اللذة
297	الشفاف والمريعات

شركة الأمل للطباعة والنشر

(مورافيتلى سابقاً)

ت. 23904096 - 23952496

الأعمال الشعرية الكاملة

كان المطارُ مُزدحمًا بالمُسافرين،
ولكنني كنتُ أراكَ واقفًا كشجرة الكازوارينا،
لماذا لم تَقُلْ لي : رحلةٌ موفقة؟
لماذا لم أقلْ لك: اربطْ حزامَ الأمان؟
اذهبْ من الشارع الخَلْفِي فالعَسَسُ كثيرون،
لنفترقْ هنا، ودَعْ لي اختيَارَ الطريقِ بعيني المفتوحَتين،
ليس أَلَمِي مُقدِّسًا لكنَّ عينيَّ خادِعتان :
كأننا تهربانِ إليكَ وأنتَ واقفٌ كشجرة الكازوارينا،
عندما كان المطارُ مزدحمًا بالمسافرين،
وليس هناك سِوَانَا : وحيدَيْن .

